دكتور عبد الحميد درويش

الفلسفة في مصر القديمة

من أمحوتب إلى أخناتون

2780 - 1340 ق. م

دراسة فى أصل التوحيد

تصدير : الدكتور عاطف العراقى

يطلب من
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية . عابدين
القاهرة - تليفون ٣٩١٧٤٧٠



منتدى سور الأزبكية
www.books4all.net

دكتور عبد الحميد درويش

الفلسفة في مصر القديمة

من أمحوتب إلى أخناتون

2780 - 1340 ق . م

يطلب من

مكتبة وهبة

١٤ شارع الجمهورية . عابدين

القاهرة - تليفون ٣٩١٧٤٧٠

الطبعة الأولى

١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

إهداء

إلى رائد التنوير والعقل

الأستاذ القدوة والمثل

أستاذى الدكتور

عاطف العراقى

تصدير

بقلم د. عاطف العراقي – أستاذ الفلسفة العربية

يحتل الفكر الشرقي القديم في تاريخ الفكر العالمي مكانة كبيرة ، إننا نجد فكراً غاية في الدقة والإحاطة والشمول انتشر في العديد من البلدان القديمة ومنذ قرون بعيدة في الزمان ، في مصر والهند والصين واليابان والعراق.

وكم أثر هذا الفكر في بلورة العديد من الأفكار التي وجدناها بعد ذلك عند العرب وعند أوربا أيضاً ، وبحيث أصبح من الضروري لدراسة تاريخ أية فكرة من الأفكار ، أن نرجع إلى فكر تلك الشعوب القديمة.

من هنا كانت سعادتي حين وجدت الدكتور عبد الحميد درويش والذي سبق لي منذ سنوات طويلة مناقشته في رسالة للماجستير ، وإشرافي على رسالته للدكتوراه بكلية الآداب – جامعة القاهرة ، مهتماً منذ عدة سنوات بدراسة وقراءة وتحليل جانب من جوانب هذا الفكر ، وهو الجانب الفلسفي ، في مصر القديمة ، وفي فترة زمنية معينة ، من أمحوتب إلى إخناتون.

رجع باحثنا والذي كان كما قلت تلميذي بالأمس ، وزميلي اليوم حيث يعمل مدرساً بكلية التربية بالعريش – جامعة قناة السويس ، إلى العديد من المصادر والمراجع الهامة ، فالكتاب الذي يقدمه اليوم للطبع والنشر يكشف عن سعة إطلاعه وتأملاته الطويلة ، ونحن نعلم أن من أول شروط البحوث الجامعية الأكاديمية ، أن يحرص صاحبها على الإطلاع ، والإطلاع المكثف على العديد من الدراسات في المجال الذي يختاره موضوعاً أو مجالاً للدراسة. فإذا جاء الدكتور عبد الحميد درويش ، وكان حريصاً على أن يزود نفسه بالعديد من الأفكار التي سبق أن قام بمعالجتها باحثون قبله ، فإن هذا إن دلنا على شئ ، فإنما يدلنا على حرص الباحث على التعرف على كل أبعاد موضوعه. إن هذا يعد بلا

شك شيئا محمودا أو مطلوبا من الباحثين في أى مجال من مجالات العلوم الإنسانية وغيرها.

صحيح إننا نختلف مع الدكتور عبد الحميد درويش في نقطة أو أكثر من النقاط التي نجدها في دراسته ، ولكن الاختلاف في الرأى يعد شيئاً متوقعاً ، لأننا في مجال الفلسفة والتفلسف.

صحيح أيضاً أننا قد لا نتفق حول قضية "الفلسفة" في مصر القديمة" ، إذ إننا نذهب من جانبنا إلى رد نشأة الفلسفة إلى بلاد اليونان ، وليس إلى أى شعب من الشعوب القديمة الشرقية ، سواء بمصر أو غيرها من البلدان ، ولكن هذا لا يقلل بوجه عام من أهمية "الفكر" في مصر القديمة وغيرها من الشعوب القديمة.

إن الغالب على فكر هذه الشعوب ، هو الصبغة الدينية وليس الصبغة الفلسفية ، ونحن نعلم أن خصائص الفكر الديني ، غير خصائص الفكر الفلسفي.

وإذا كنا نتفق جميعاً على القول بأن أفلاطون اليوناني كان فيلسوفاً ، وأرسطو تلميذه كان أيضاً فيلسوفاً ، إلا إننا لا نستطيع القول بأن بلداننا الشرقية القديمة قد أنجبت لنا فيلسوفاً من الفلاسفة ، إن مصر القديمة قد خلت من وجود فلاسفة ـ تماماً كما نقول بأن بلداننا العربية لا نجد فيها فيلسوفاً من الفلاسفة منذ ثمانية قرون ، وعلى وجه التحديد منذ العاشر من ديسمبر عام ١١٩٨م ، وهو التاريخ الذى يوافق وفاة ابن رشد آخر فلاسفة العرب.

لماذا لم نجد فلسفة بالمعنى الدقيق لكلمة فلسفة في مصر القديمة ، لماذا لم نجد فلاسفة في مصرنا القديمة ؟ هل يرجع ذلك إلى وجود الكهنة في مصر القديمة ، أم يرجع إلى أسباب أخرى ؟ ، هذه قضايا عديدة لا شك في أن مؤلفنا الدكتور عبد الحميد درويش ، سيقوم بتحليلها وسبر أغوارها في دراسات قادمة ، نظراً لأنه يملك أدوات البحث ، البحث الأكاديمي الجاد.

وهذا لا يقلل من أهمية الفكر في مصر القديمة ، إذ من قبيل إضاعة الوقت ، الشك في مدى أهمية هذا الفكر ، إنه فكر خالد جبار ملأ بقاع الأرض علماً ونوراً ومعرفة. إنه فكر لم يكتب إلا لكي تستفيد منه الشعوب والأمم منذ آلاف السنين وحتى أيامنا التى نحياها ، إنه فكر يستند إلى جذور قوية ، وواثق الخطوة يمشى ملكاً كما نقول.

إن العالم يشهد الآن اهتماماً بالغاً بهذا الفكر ، فكم من مقررات دراسية بالعديد من جامعات مصر وغيرها تركز بالدرجة الأولى على استكشاف جوانب شموخ هذا الفكر فى مصرنا القديمة ، وغيرها من شعوب الشرق القديمة ، وقد آن الأوان لتصحيح نظرتنا إلى هذا الفكر الحيوى والشامخ ، نقول هذا رغم ذهابنا من جانبنا كما سبق أن أشرنا بأن نشأة الفلسفة والتفلسف لا ترجع أساساً إلى شعوب الشرق القديمة ، بل ترجع إلى اليونان.

ونجد فى هذه الدراسة التى يقدمها مؤلفنا عبد الحميد درويش جهداً واضحاً ، إنه يقسم دراسته إلى مجموعة من الأقسام والعناصر والنقاط ، وينتقل بدقة من عنصر إلى عنصر أخر من العناصر التى نجدها داخل إطار كتابه. كما أن المؤلف لم يقتصر على مجرد العرض الموضوعى للآراء الفكرية التى نجدها فى فترة زمنية فى مصر القديمة ، بل إننا نجده يضيف إلى البعد الموضوعى ، بعداً ذاتياً نقدياً ، وذلك حين يلجأ إلى المناقشة والمقارنة والموازنة بين العديد من الآراء التى قام بتحليلها بأسلوب واضح يدلنا على أنه استطاع فهم طبيعة الآراء التى ذكرها.

ولجوء الباحث إلى المقارنة والموازنة ، يدلنا على وجود شخصية له تظهر بين ثنايا دراسته ، كما أنه لم يلجأ إلى الأسلوب الخطابى الإنشائى والذى لا يخلو من مبالغة. نعم لم يلجأ إلى هذا الأسلوب الذى نجده منشراً الآن عند أشباه الباحثين ، وأشباه الأساتذة والذين يعملون داخل أشباه أقسام الفلسفة حالياً ، والفلسفة منهم براء.

كما أن رجوع الباحث إلى العديد من المصادر والمراجع والتى عولت بالدرجة الأولى على دراسة الفكر الشرقى المصرى القديم ، يدلنا كما سبق أن أشرنا على اهتمام بالغ من جانب الباحث بدراسة موضوعه.

نقول ونكرر القول بأننا إذ كنا نختلف مع مؤلفنا الفاضل الدكتور عبد الحميد درويش حول بعض الآراء التى ذهب إليها ، وحول بعض جوانب المنهج الذى سار عليه فى دراسته لموضوع بحثه ، إلا أن هذا لا يقلل من أهمية الدراسة التى يقدمها اليوم للطبع والنشر حتى يستفيد منها الباحثون والقراء عامة ، والدارسون للفكر الشرقى المصرى القديم خاصة ، ويكفى أن الهدف الذى سعى إليه مؤلفنا من دراسته يعد هدفا ساميا نبيلا.

ونرجو للمؤلف الدكتور عبد الحميد درويش كل ازدهار وتقدم فى بحوثه ودراساته الجامعية. إنه باحث جاد يملك أدوات البحث والدراسة وفى اعتقادنا أنه عن طريق هذه الأدوات العلمية ، بإمكانه إثراء مكتبتنا العربية بالعديد من المؤلفات فى مجال الفكر الشرقى القديم ، والفكر العربى قديمه وحديثه.

والله هو الموفق للسداد

عاطف العراقى

مدينة نصر فى ٨ سبتمبر ١٩٩٨م.

امحوتب IMHOTEB
2870 - 2680 ق.م

"امحوتب بن حابو" أشـهر حكمـاء مصـر القديمـة وأحـد مؤسسـى مدرسـة الحكمة التى كان مركزها معبـد أون فـى مدينـة هليوبوليـس (عيـن شـمس الحاليـة) والتى كانت بمثابة جامعة للعلوم والفنون ومقراً لعبـادة إلـه الشـمس رع.

عاصر امحوتب عهد الملك زوسـر أول ملـوك الأسـرة الثالثـة بيـن عـامى ٢٧٨٠ إلى ٢٦٨٠ ق. م. وكـان النمـوذج العملـى المتقـدم لمفـهوم الحكمـة بمعنـى كمال العقل وتمام الإدراك ليثبت أن الكمال غاية بشـرية ومنحـة إلهيـة وليـس مجـرد صفة يتحلى به الأمراء أو غاية مثاليـة. فجمعـت حكمتـه بيـن الديـن والفـن وعلـوم الهندسة والفلك والطب التـى بلـغ فيـها مكانـة عاليـة ، وقـد دلـت ألقابـه ووظائفـه وشهرته على مقدار ما وصل إليه من علـم ومكانـة ومـا قدمـه مـن معـارف مفيـدة لعصـره[1].

كانت الحكمة عند امحوتب هى العلم ، وكـان العلـم عنـده كـل مـا يسـتطيع الإنسان تحصيله من معارف مفيـدة وأكيـدة بنظـر العقـل ، بشـرط ألا تتوقـف هـذه الحكمة عند حد النظر بل يجب أن تنتقل إلـى مرحلـة التعبـير العملـى الصـادق عـن الآراء والخبرات والحكم. لذلـك لـم يكتـف "امحوتـب" بتـأليف الكتـب فـى الطـب والعلاجات والفلك بل كان يمارس العلاج والتحنيـط وإجـراء الجراحـات الدقيقـة حتـى بلغت شهرته مكانة كبيرة فى عصره وفى العصـور التـى تلتـه.

---

(١) من هذه الألقاب والوظائف التى اشتهر بها امحوتب :
رئيس المثالين ، كبير المهندسين ، كبير المتطلعين إلى السماء ، كبير الرائيين ، المتطلـع إلـى رب الشمس الكبير ، الحكيم النابغة ، الكاهن الأكبر ، خادم الفرعون ، الكاهن المرتل ، ابن الإله بتـاح ، أمير أختام الوجه البحرى ، ناظر القصر العالى.

وتأكدت هذه الحقيقة عندما عثر على بعض لفائف البردى التى كتبها امحوتب فى الطب واعتبرها رجال العلم أول كتاب فى الجراحة وأول موسوعة طبية فى تاريخ البشرية وأيدوا هذا الرأى بأدلة منها:

- إن الإغريق المتمصرين فى العصر القديم أطلقوا على امحوتب لقب إله الطب وأسموه رب الشفاء ، وشبهوه بإله الإغريق اسخيلوس رب الطب والحكمة عندهم ، وأن ما كتبه فى الطب جعله على رأس أهل الحكمة.
- إن عصر الملك زوسر قد اشتهر بتقدم العلوم وخاصة علم التحنيط وما يتطلبه ذلك من براعة وتقدم فى الجراحات والعلم بالأعضاء وما يحفظها آماداً طويلة ، ومكونات الجسم وعلم بالأدوية والعقاقير لحفظ الجسم بعد الوفاة انتظارا ليوم البعث والحساب فى عالم الحياة الآخرة .
- إن امحوتب قد بلغ درجة عالية فى صناعة العقاقير والأدوية واستخراجها من الأعشاب واستخدامها فى العلاج والتحنيط ، وأنه نبه إلى كيفية استخدام هذه الأعشاب ومزجها وأهم أنواعها المتوفرة فى البيئة المصرية .
- إن معارف امحوتب الكيميائية كانت وراء تقدم الفن وتصنيع المعادن واستخراج النحاس والذهب وصناعة الألوان والصباغات والأدوية واشتقاق اسم الكيمياء العلمى من الكلمة المصرية "كمت" وهى اسم مصر قديماً بمعنى الأرض السمراء.[1]
- إن المؤرخ المصرى القديم "**مانتيون**" سجل فى بردية "**تورين**" أن امحوتب الحكيم وراء تطور العلوم والفنون والآداب فى عصر الملك زوسر والعصور التى تلته.

---

[1] للاستزادة من المعلومات التاريخية عن امحوتب راجع :

- W.S Smith The old Kingdom in EGYPT, vol. I 1965

- د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ج ١ ص ١٠٢- ١٠٨ - ٢٢٣.

- د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ص ٩٠ - ٩٦.

وكانت الحكمة عند امحوتب هى الفكر المنتظم والسلوك المستقيم ، وهذه الحكمة تتطلب صلاح الفرد واستقامته فهو أساس حسابه وبعثه وبقاء جسده وخلود روحه.

ورأى امحوتب أن من الحكمة صيانة الجسم وحفظه وسلامته لأنه المحل لخلود الروح واستمرار وجودها ، وأن صلاح الفرد وتقواه ضرورة من أجل الخلود والبقاء فى حياة خالية من الشرور والمظالم ، حياة السعادة الدائمة ، فالحياة الخالدة فى العالم الآخر تتوقف على الأعمال الدنيوية الخيرة.

ومن هنا كانت الحكمة عنده فى النظام والتعاون والأداء الأمثل والالتزام بالشعائر والعبادات وحسن المعاملة وتطبيق العدل ومنع الظلم. ولقد أنتشر هذا المفهوم بين الرعية والأمراء والحكام وصار اعتقاداً وأصبحت الحكمة غاية إنسانية وضرورة عملية لأنها الاسم الجامع لأعمال الخير والإحسان والعدل والسعى لاكتساب السمعة الطيبة ومحبة الرعية. ودلت نقوش المقابر وكتاب الموتى المسمى بالإنكارات ومواعظ كتاب الحكمة ، مدى الالتزام بما ينبغى أن يكون والسعى لحصول الكمال من أجل الخلود وسعادة الآخرة.

وكانت الترجمة العملية لهذا المفهوم فى فكرة امحوتب الهندسية للحفاظ على الجسم واستمرار بقائه ببناء الهرم المدرج على شكل مصاطب تقل فى الحجم كلما ارتفع البناء فى إشارة إلى القداسة والعلو والاستمرار وكان امحوتب أول مفكر ومنفذ لفكرة الأهرامات ، وكان هذا الهرم المدرج أول هرم فى الوجود.

وقد عبر امحوتب عن كفاءته الهندسية فى العديد من الأعمال الإنشائية غير الهرم المدرج وتوابعه من معابد وقصور. وأثبت عمليا أن الحكمة علم وعمل ، فكر وسلوك ، فكان طبيباً وجراحاً وفلكياً وكاهناً ومهندساً بارعاً ، وكان بحق كبير المهندسين وكبير المثالين ، وكبير الكهنة ووزير القصر أيضا.[1]

---

[1] وقد سجلت لوحة الخلود فى عهد رمسيس الثانى أسماء خمسين كاتبا وحكيما من الذين تزعموا حركة العلم والمعرفة والفن والأدب فى مصر القديمة والذين قدموا الفكر والنصيحة ووضعوا مبادئ العلوم ،

=

ولم يقتصر مفهوم الحكمة عند امحوتب على ضرورة الجمع بين الدين والعلم بـــل امتد مفهومها ليشمل الاهتمام بالإنسان فى حقيقته وكل ما يتصل به أو يؤثر فيــــه ســلباً أو إيجاباً ، وكل ما يشغل فكره من قضايا ومشكلات ، وأن هذه الحكمة غايتها فلاح الإنســـان وسعادته ومصدرها الوحى الإلهى وأن الإنسان لا يتمكن من هذه الحكمة إلا بالعمل وإعمـال الفكر وكثرة السؤال وتحصيل المعارف. وقد وصف امحوتب هذه الحكمـــة فـــى معــرض أقواله ومعارفه فقال :

"تعمقت فى الأقوال القدسية واطلعت على أعمال تحوتـــى [رب الحكمـــة] البـــاهرة وتزودت بكل أسرارها وكشفت عن فصولها ، ولهذا اعتاد الناس أن يستشيرونى فـــى كـــل أمورها".

وعند تأمل كلمات هذه العبارة تظهر مدى معرفة امحوتب بأقوال وحكـــم الأنبيـــاء والحكماء السابقين له ، فتلك هى الأقوال القدسية ، وكذلك أعمال الإله تحوتى الـــذى يـــهب الحكمة والمعارف لأن تحوتى هو إله المعرفة والعدالة والميزان والذى يهب الحقيقة للبشـــر ، أما استشارة الناس له فهى إشارة إلى ما وصل إليه امحوتب من قدرة كلامية ومعرفيـــة ، لأن الاستشارة ليست مجرد رأى أو حكم للناس بل هى مناقشة وإقناع حول قضايا معرفيـــة ودينية عن الروح والجسم والموت والحياة والخلود والبعث والحساب ، لأن هـــذه القضايـــا كانت أهم ما يشغل الفكر المصرى عبر تاريخه الطويل .

كما تؤكد العبارة مدى حرص الإنسان المصرى على المعرفة وتحصيـــل الحكمـــة عن طريق الرأى والحوار والسؤال وهى معانى لكلمة الاستشارة.

ويمكن الاستدلال على مكانة امحوتب الفكريـــة وتقديمـــه للحكمـــة القائمـــة علـــى تفاعل النظر والعمل والدين والعقل من خـــلال نجاحـــه فـــى وظائفـــه العلميـــة والدينيـــة وقدرته على مواجهة المشـــكلات الاجتماعيـــة.

وقاموا بتسجيل أهم الوقائع التاريخية منذ العصر الحجرى الحديث وبداية عصر الأسرات وحتى عصر رمسيس الثانى وما بعده ، وكان فى مقدمة هؤلاء الكاتب الحكيم امحوتب الذى ظهر واشتهر مع بداية عصر الأسرة الثالثة فى عهد الملك زوسر.

ففى مجال الحياة الروحية تقلد امحوتب أعلى المناصب الدينية والعلمية فى مدينة "أون" معقل كهنة الشمس "آمون رع" ، فكان "امحوتب" رئيساً لكهنة "آمون" وكبير المرتلين بوصفه الكاهن الأكبر للإله "آمون" حتى أطلق عليه لقب ابن الإله "بتاح".

وفى هذا الإطار كانت الحكمة عند "امحوتب" فى الاتصال الدائم بعالم الآخرة بالذكر والدعاء والإخلاص فى الأعمال فتلك وسائل الاتصال والقرب من عالم الحساب والخلود ، لأن الإله يعرف الذين يعملون من أجله ، وكذلك يعرف الشقى فينتقم منه ويجازى البشر على قدر أعمالهم حتى أعمال الفرعون نفسه ، وأن الحساب الأخروى لا يكون للجسم فقط بل للجسم والروح معاً ، لأن الروح تواجه المحاكمة فى العالم الآخر وتدافع عن صاحبها لتثبت صلاحه وإخلاصه وحقه فى الخلود والبقاء الأخروى .

وكان هذا المعتقد وراء التزام الفكر المصرى جانب الأخلاق والقيم. والتأكد من أن الجسم والروح معا هما جوهر الوجود الإنسانى المستمر عبر الحياة والموت والبعث والخلود .

ويبالغ البعض فى وصف مكانة "امحوتب" العلمية ويرون أن شهرته وأثره الفعال قد امتد بعد وفاته قروناً طويلة وأن الناس كانوا يتبادلون أقواله وحكمه وانهم كانوا يعتبرونه من الأولياء وينسبون إليه الشفاء ، وأنهم أعادوا بناء مقصورة شعائره فى غرب طيبة وحولوها إلى معبد كبير وأشادوا بكراماته فى قضاء حوائجهم وعلاج مرضاهم إذا باتوا ليلة فى معبده ، واحتراما لعلمه ومكانته بعد وفاته كان كتاب الحكمة قبل ممارسة أعمالهم يحرصون على إراقة بعض قطرات من الماء قرباناً واحتراماً "لامحوتب"!

كما يستدلون بما نقش فى لوحة المجاعة على جدار مقبرته والتى وصفت مقدار حكمته وأشادت بعهد الملك "زوسر" . وكيف كان "امحوتب" يواجه قضايا المجتمع بالعقل والمنطق والتجربة واعتماده على العلة والدليل فى تفسير الظواهر

.. فالنقوش تروى قصة ما حدث فى العام الثامن عشر من حكم الملك **"زوسر"** فى أيام أمير النوبيين الحاكم **"مادير"** رئيس معابد الجنوب.

عندما واجهت البلاد فترة الجفاف وشعر الناس بالضيق والقلق بعد أن عز الفيضان حوالى سبع سنوات وقلت الحبوب وتضاءلت المحاصيل ، واستشعر الشيوخ والشباب والأطفال آلام المجاعة وتروى اللوحة مدى ضيق الملك وخوفه على رعيته وحرصه على معرفة الحقائق.

فأراد الملك أن يتحرى الأصول والأسباب لما لحق البلاد من بلاء ولماذا قل فيضان الماء فاستشار الملك كبير كهنته. وعلى الفور اختلى امحوتب بمخطوطاته وأوراقه ليدرسها ويتأمل حكم الأقدمين فيها .. وبعد مدة قصيرة عاد إلى الملك ليخبره بأن ثمة قرية تسيطر على النهر من المنبع تسمى **[أبو/أسوان]** تعتبر البداية وحاضرة الإقليم الأول وعندها يوجد المنبعان اللذان يصدران عنهما كل خير ، وهى المهد الذى ينشأ عنده الفيضان ويتجمع ..

ولما سمع الملك ذلك سر كثيرا من "امحوتب" وأقتنع لأدلته وحسن مشورته.

وتروى اللوحة أيضا ردود فعل الملك وميله إلى المعرفة ومواجهة القضايا والمشكلات ، وميله إلى تفسير الظواهر بعللها البعيدة رغم قناعته بأدلة "امحوتب" واعتماده على العلة القريبة والمشاهدة الحسية والتجربة. وتروى اللوحة أن الملك زوسر بعد أن قدم الأضاحى والقرابين لأرباب آبو ، رأى فى منامه الإله "خنوم" مشكل البشر من صلصال **(أى الإله الذى خلق البشر من طين)** رآه يحدثه جهرة ويقول له : **"أنا خنوم خالقك ، أنا من يرسل يديه من ورائك لأكفل لك التأييد ، وأهب بدنك العافية ، أنا الذى أوجدت اليابسة ووهبتك أحجار الجرانيت منذ القدم لتشيدوا بها المعابد وتجددوا بها المنهدم .. أنا توت العظيم الموجود منذ الأزل ، أنا الفيضان الذى يرتفع حيثما يشاء"** ..

ولما أفاق الملك أدرك أن صاحب الفضل فى العطاء والفيضان والخير هو الإله الخالق **"خنوم"** دون سواه .. وعلى الفور سارع الملك لتقديم الأضاحى

والقرابين ، وأمر بأن توقف بعض خـــيرات المنطقـــة للصـــرف علـــى مراســـم عبادتـــه وحده وأن يكون لمعبده الحق فى الحصول علـــى ضريبـــة العشـــر مـــن صيـــد الســـمك والطيور وأعمال المحاجر والمتاجر بمنطقته تقربـــاً إليـــه واعترافـــاً بفضلـــه.[1]

---

(1) - هيرودوت : حضارة مصر. ترجمة د. محمد صقر خفاجة. القاهرة ١٩٦٦.
- د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ج ١ ص ١٠٠- ١١٥ ، ص ٢٢٠.
- د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ص ٩٠-٩٦.

كاجمنى KajMeny

2635 - 2561 ق.م

"**كاجمنى**" حكيم مصرى من حكماء عصر الأسرة الثالثة التى وجدت بين أعوام ٢٧٨٠ – ٢٦٨٠ – ٢٦٣٥ قبل الميلاد .

كان "**كاجمنى**" وزيراً لأحد ملوك هذه الأسرة ، وأنه عمل بالتعليم فكان معلما لأبناء الملك "**حونى**" آخر ملوك الأسرة الثالثة فى الدولة القديمة. أشتهر عنه تأليف مجموعة من النصائح الخلقية والتعاليم الدينية التى لها أثرها الفعال على مدى عدة قرون ، وقد كشفت الحفائر الأثرية عن بعض هذه النصائح.

وقد أهتم العديد من الباحثين ورجال التاريخ بهذه النصائح منهم المؤرخ الفرنسى فرنسوا دوماس ، ووالس بيدج.

دارت نصائح "**كاجمنى**" حول أهمية الاعتقاد بالوحدانية والتمسك بالقيم والفضائل ، وهى تعكس مدى تأثر المصرى القديم بتعاليم الأديان والاعتقاد الراسخ فى أعماق الإنسان المصرى بحقيقة الجزاء الخلقى والثواب والعقاب وهى تؤكد على الأثر الإيجابى للتدين على سلوك الفرد وتحسينه وأن الطاعة والاستقامة ضرورة لينال الفرد حسن الجزاء فى الدنيا والآخرة.

ومن هذه النصائح:

- أسلك طريق الاستقامة لئلا ينزل عليك غضب الإله .
- أحذر أن تكون عنيدا فى الخصام فتستوجب عقاب الإله .
- ولا تكونن فخورا بقوتك لأن الإنسان لا يعرف ماذا سيكون مصيره ولا يعرف ماذا يفعل الإله عندما ينزل العقاب.

وعند القيام بتحليل هذه النصائح ندرك مدى اهتمام المفكر المصرى بالحياة والموت والمصير ، فالحياة تعنى العمل والاستقامة

والموت يعنى الخلود والبعث والبقاء والمصير يعنى القدر المجهول الذى لا يعلمه سوى الإله.

وندرك أيضا كما يقول "والس بيدج" أن نصائح كاجمنى تصور مدى تمسك المصرى القديم بعقيدة التوحيد ، وأن كاجمنى قدم تصوره القائم على إيمانه بالإله الواحد الخالق الذى يهب الإنسان المال والبنون وهو الرازق الذى يهب الإنسان الرزق ، وهو العظيم المريد الذى لا يحب المفسدين المارقين الباغين ، وهو المحب للطائعين الذين يراعون ربهم. وهو الإله القوى الحكيم الذى يدبر العالم ويرزق طبقا لإرادته.

وأكد المؤرخ الفرنسى "فرانسوا دوماس" أن هذه النصائح والحكم تشير إلى رسوخ الاعتقاد بإله واحد ..

والوحدانية صفة إلهية آمن بها المصرى القديم لإيمانه بالرسالات السماوية وما جاء به الرسل والأنبياء فى مصر القديمة ابتداء من النبى إدريس وحتى موسى وعيسى ومحمد ﷺ كما إننا ندرك ذلك من تقارب المعانى بين ما جاء فى نصائح وحكم كاجمنى وأمثاله من حكماء مصر القديمة وما جاء فى القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ومثال ذلك أن كلمات كاجمنى فى طريق الاستقامة والتحذير من العناد والإصرار على الخصام. فى دعوة إلى الود والحب الذى يجب أن يسود العلاقات الاجتماعية بين البشر ، هذا ما نلاحظه فى الحديث النبوى ﴿**آية المنافق ثلاث ، إذا حدث كذب ، وإذا أؤتمن خان ، وإذا خاصم فجر**﴾.

وذكر "**والس بيدج**" إنه يمكننا أن نستزيد بمعلومات أكثر عن فكرة الله عند المصريين القدماء ببعض عبارات محددة فى الوصية الشهيرة "**لكاجمنى**" ، وهى تؤكد ما وصل إليه الفكر المصرى من تقدم فى الجانب الخلقى والدينى ومدى تمسك الشعب المصرى بمبادئ التوحيد وحسن الخلق ، وربطه بين الدين والخلق وبين النظر والعمل ، كما تدل

فى الوقـــت نفســه علــى أن الفكــر المصـــرى فـــى أصلـــه فكـــر دينـــى وأنـــه كـــان علـــى صلـــة قويـــة بالتعـــاليم الســـماوية والرســـالات المقدســـة.[1]

---

[1] ١- الأدب المصرى القديم ج ١. د. سليم حسن ص ١٩٩.

٢- قدماء المصريين أول الموحدين د. نديم السيار ج ١ ص١٧١ - ١٧٣ - ط ٢ ١٩٩٥

- W. Budge : The Egyptian Book of The Dead.

- W. Budge : From Fetish To God in Ancient Egypt. Oxford 1934.

٣- فرانسوا دوماس : آلهة المصريين . ص ١١٨ - ١٤٨ - ١٥١.

راجع عن الكاتب الحكيم كاجمنى فى :

- F. Daumas : Le Civilization de L' Eygpte Pharaonique Paris , 1965 P. 315

بتـــاح حـوتـــب

BATAH HOTEB

2480 - 2420 ق . م

بتاح حوتب هو أبرز حكمـــاء الأســرة الخامســة التــى حكمـت مصــر بيــن أعوام ٢٥٦٠ إلى ٢٤٢٠ قبل الميــــلاد.

وهو أشهر حكماء الدولة القديمة بسبب ما قدمه من حكـــم ومواعــظ فـــى بنـــاء الإنسان والمجتمع وما يجب أن يكون عليه ســـلوك الفــرد .

كان بتاح حوتب وزيراً للملك "إســيس" ESYS الــذى ســمى عصــره بعصــر التقــوى والرفاهيــة ، ولــم يبخــل بتــاح بحكمتــه وعلمــه وتنــوع معارفــه التـــى صاغها فى صورة مواعظ خلقية ونصـــائح موجهــة لولــده والشــباب أمثالــه يدعوهــم إلى العلم والمعرفة والإيمان وحســن الخلــق.

فسجل هذه الحكــم وصاغــها صياغــة أدبيــة رفيعــة فأثــارت انتبــاه راغبـــى الحكمة والمعرفة والأدب والفن فى كل عصــر لأنــها كــانت بمثابــة المنــهج المتكــامل للتربية والنجاح فى الحياة وتحقيق السعادة للفـــرد والمجتمــع.

وهـــى تعكــس مــدى اهتمــام بتــاح بالمعرفــة والســلوك ومبــادئ الأخـــلاق الاجتماعية ، واهتمامه الخاص بــدور الأســرة فـــى التربيــة والتعليــم وبنـــاء المجتمــع واســتقراره .

إن فلسفة بتاح رغم غلبة الطابع الأخلاقـــى عليــها فـــهى تعكــس مــدى اهتمــام المصرى القديم كمواطـــن وكــاهن أو كــاتب بمختلــف مجــالات المعرفــة واســتخدام

العقل وطرق هذا الاستخدام وفائدته ، وهذا ما أثبتته البحوث والمكتشفات الحديثة.[1]

ففى مجال المعرفة أكد "بتاح" مدى اهتمام المصرى القديم ببيان أصل الحكمة ومصدرها الإلهى وبيان أهميتها ومجال تطبيقها ونجاحها فى مختلف العلوم والفنون والمعارف ، ومن ثم كانت الحكمة عنده حكمة عملية أكثر منها نظرية لأنها كانت تعنى الالتزام والسماع والوعى بمعانى العدالة والمساواة والحق والاستقرار ، كما كانت تعنى الاحترام والسعى للمعرفة والعلم والثقافة وممارسة الكتابة وتسجيل مختلف الفنون والآداب فكل ذلك من الحكمة.

وهذه الحكمة العملية لم تكن مجرد إعمال العقل أو فهم لمعانى العدل أو عمل آلى روتينى لتحصيل المعرفة أو مجرد ممارسة للتأمل كرياضة عقلية بحتة بل كانت هى الالتزام بممارسة الحق والصدق والعدل والتواضع والالتزام بهذه القيم عند معرفتها والعمل على انتشارها.

وقد عبر بتاح فى نصائحه إلى بقاء هذه القيم وخلودها وفائدتها ..... فقال : "إن صوت الناس يفنى أما صوت الكاتب فيعيش أبد الدهر وما أعظم الحق فإن قيمته خالدة. وكان الكاتب هو الحكيم الذى يستطيع أن يعبر خير تعبير عن حاجات النفس الإنسانية ومطالبها باستخدام القلم للتعبير عن الحقيقة.

وعبر عن ذلك بتاح بقوله : لينطلق قلمك بالحق ولا يخط إلا الصدق بما يفيد الناس ويرضى الإله ، فصوت القلم أعلى الأصوات لأنه

---

[1] أشارت الباحثة الأمريكية أندريا مكدويل فى مقالها الذى نشر فى مجلة المعرفة العلمية إلى اكتشاف عشرات الآلاف من الوثائق فى قرية دير المدينة قرب الأقصر وأن هذه الوثائق أثبتت:

١- أن غالبية المصريين القدماء كانوا يعرفون القراءة والكتابة.

٢- أن المصريين كانوا مغرمين بالنظام وتدوين كل شىء وحب العاصمة طيبة .

٣- أن العامل والمواطن العادى كان للجميع طموح للتعليم ومعرفة الأدب على الرغم من أن وظيفتهم لم تكن تتطلب ذلك ، وأن العلم والمعرفة كانا من المفاتيح الأساسية لحياة طيبة وكريمة.

* راجع جريدة الأهرام الأحد ٥ يناير ١٩٩٧م ص١ .

صوت الحق ، وأن الكتابة حاسة مقدسة يهبها الإله للكاتب لترفعه فوق الناس فيرى مالا يرون ويسمع مالا يسمعون.

وهكذا كانت الكتابة تعبيرا عن الحكمة التى يهبها الإله للحكماء والصالحين وما جاء فى التعبير القرآنى مصداقا لذلك فى قوله تعالى :-

﴿ يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب ﴾ [البقرة ٢٦٩]

لقد أثبت "بتاح" أن الحكمة لا تكون إلا بالعلم والعمل ، فهى فى العلم بما ينبغى أن يكون عليه الإنسان بالفعل ، ومن ثم تضمنت حكمه ومواعظه أصول العلاقات الإنسانية والاجتماعية فى صورتها المثالية ، وفى مختلف مستوياتها الولد مع أبيه وأسرته وجيرانه ، والمعلم مع تلاميذه والتلميذ مع أستاذه ، والرئيس مع مرءوسيه والمواطن مع الحاكم ، والزوج مع زوجته ، والصديق مع صديقه وعلاقة الفرد مع ذاته وحاجاته ، وعلاقة الفرد مع الآخر فى مختلف حالاته وانفعالاته .

وأكد بتاح أن قيام هذه العلاقات يجب أن يكون على أساس من العلم والدين والمعرفة لتحقق السعادة والغاية وهى البقاء أو الخلود ، وما تلك سوى غاية الحكمة وفائدة الفلسفة على الحقيقة .

لأن بتاح كان حريصا فى التنبيه إلى وجوب فهم حكمه والالتزام بنصائحه لأن فى ذلك الفهم والالتزام فائدة حقيقية للجميع ، ولأن من يفهمها على حقيقتها سيصير أستاذا [أى إنسانا متكاملا] وسيصير زوجا ناجحا وقائدا محبوبا وكاتبا مرموقا .. وفى هذا الإطار جاء قول بتاح حوتب فى حكمه.

- ما أعظم الحق فإن قيمته خالدة ، والحق مثل الطريق السوى أمام الضال.
- إن ثروة المرء العظيمة هى عقله ، فلا تكن متكبرا بسبب معرفتك ولا تثق بأنك رجل عالم.

- ما أفضل الابن عندما يصغى لوالده ، فالابن إذا وعى لما يلقيه عليه والده فانه لن يخيب فى مشروع من مشروعاته .
- وما أجمل أن يستمع الابن إلى أبيه لأنه سيطول عمره من جراء ذلك.
- فإن الابن المستمع المطيع يحبه الإله والذى لا يسمع مكروه من الله.
- إن الغبى هو الذى ينظر إلى العلم كما لو كان جهلا ، وإلى الخير كما لو كان شرا ، لأنه سيجلب على نفسه اللوم كل يوم لأنه يفعل كل ما هو مكروه من الناس.
- عليك باحترام الرئيس طبقا لما وصل إليه.
- لا تكثر من اللغو ولا تسمعه - وإذا حكمت بين الناس فأسلك طريق العدل.
- إذا كنت قائدا وتصدر الأوامر للجمع الغفير فأسع وراء كل كمال حتى لا يكون نقص فى طبيعتك.

الفضائل الأخلاقية عند "بتاح حوتب":

استطاع بتاح حوتب كفيلسوف أخلاقى تصوير ما يجب أن تكون عليه الأخلاق الاجتماعية فى صورتها المثالية ، وأقام مذهبه الأخلاقى على فضائل الحكمة العملية وعكست نصائحه مدى إيمانه بأهمية التقوى والعمل الصالح ، ومدى إيمانه بالقدرة والإرادة الإلهية فى توجيه السلوك البشرى نحو الخير والفضيلة.

فكانت الفضائل الأخلاقية التى دعى إليها وسائل تحقيق الأمن النفسى والكمال الروحى الذى يتحقق من خلال فضائل الأدب والتواضع والتسامح والشجاعة ، والعلم والحكمة ، والصدق والصداقة والثقة والأمانة والعدل والاعتدال ، وغيرها من فضائل الأخلاق.

ولم يكتف "بتاح" بتحديد هذه الفضائل ومجال تطبيقها بل كان حريصا على بيان أضداد هذه الفضائل من مختلف الشرور والرذائل التى يجب أن يحذرها الإنسان لينجو من أخطارها وخاصة إنها من أمراض النفس التى لا علاج لها.

ولم يدعى " بتـــاح " أنه صـــاحب الفضـــل فـــى التعريـــف أو الدعـــوة لـــهذه الفضائل بل أرجعها إلى الحكمـــاء والمصلحيـــن الســـابقين عليـــه وذكـــر صراحـــة فـــى ختام حكمه : "والفضل فى هـــذه النصـــائح التـــى ألقيتـــها عليـــك يرجـــع للأجـــداد لأن نصائحهم جديرة بـــالتقدير."[١]

(١) فضيلـة التواضـع :

فهم " بتـــاح " التواضع على أنـــه أدب أخلاقـــى وعـــادة متعلمـــة وضـــرورة لكمال النفس وعلو القدر وحصول الرضى الإلهى وتحقيـــق النجـــاح الدنيـــوى.

وفى هذا الإطار كان التواضع عنده فضيلـــة تمكـــن الفـــرد بـــأن يقضـــى علـــى دوافع الشر والرذيلة وأمـــراض النفـــس وأهمـــها الغـــرور والطمـــع والغبـــاء والتعـــالى والتشاجر والتفاخر والكذب والنفـــاق .

وهـــذا يفســـر حـــرص "بتـــاح" فـــى حكمـــه ومواعظـــه إبـــراز متطلبـــات التواضع كالتزام الحذر والصمت عند وجوبه والبعـــد عـــن الغـــرور والتعـــالى والطمـــع والتكبر والشراهة والسكر والتشاجر وغيرها مـــن الشـــرور والرذائـــل.

- ففـــى البعد عن الطمـــع قـــال : **"إذا أردت أن تحســـن خلقـــك وتصـــون نفســـك من كل سوء فأحذر من الطمع فهو مـــرض عضـــال لا دواء لـــه."**
- وفـــى البعد عن الغرور قال : **"لا يداخلـــك الغـــرور بســـبب علمـــك ولا تتعـــالى لأنك رجل عـــالم."**
- وفـــى البعد عن التكبر والتفاخر قـــال : **"ولا تكـــن متكـــبرا ولا تكونـــن منتفـــخ الأوداج ، وإذا فاه أخوك بالشـــر فانصحـــه."**
- ولأن التواضع ليس مجرد صفة بل ســـلوك وأدب خلقـــى يلـــزم صاحبـــه التعقـــل وعـــدم الاندفـــاع أو التشـــاجر أو التعـــالى علـــى الآخريـــن قـــال

---

[١] الأجداد هنا إشارة إلى أصحاب الحكمة قبله من حكماء ورسل وأنبياء.

"بتاح" : (لا تتشاجر مع أى شخص عظيما كان أو بسيطا فإن ذلك أمر كريه فلم يحدث أبدا أن عمل السوء يوصل صاحبه سالما إلى مأمنه).

- وقال أيضا : "إذا عظم شأنك بعد أن كنت قليل القدر وأصبحت غنيا بعد أن كنت فقيرا فى البلد الذى يعرفك أهله فلا تنسى كيف كان حالك فيما مضى ولا تغتر بثروتك التى جاءتك كهبة من الإله.

- والتواضع عند " بتاح حوتب " قيمة خلقية رفيعة يحتاج إليها العالم والحاكم والفقير والغنى والرئيس والفقيه ، ولذا فالتواضع فضيلة جامعة تتطلب من صاحبها التخلق بالحذر والتأدب عند التعامل والحرص والصمت عند مجالس الخطباء والحكماء لأن ذلك كله من متطلبات التواضع.

وفى هذا جاء قوله : "عليك الالتزام بالحذر فى حضرة العظماء والالتزام بآداب المائدة فى حضرة الرئيس ، وعليك باحترام الرئيس طبقا لما وصل إليه دون النظر إلى أصله قبل رئاسته لأن الثمرة لا تأتى عفوا .. وعليك بالتحلى بالصمت أمام الرئيس وألا تتكلم إلا بعلم وحين تسجل المعضلات لأن صناعة الكلام أصعب من أى حرفة أخرى.

- والتواضع عند " بتاح " يتحقق بتكميل النفس وسلامة البدن الذى يتطلب بدوره التزام الاعتدال والبعد عن الشراهة والطمع ، فالشراهة عنده مفتاح جميع الشرور ، وهى نقيض التواضع والاعتدال وقرينة الطمع والحقد والسرقة والظلم وسائر الشرور والفواحش ، ولهذا كان حرص "بتاح" على بيان أخطار الشراهة على الفرد والأسرة والمجتمع. وفضل الاعتدال والتواضع فقال : "ولا تكونن شرها فى القسمة ، ولا تكونن ملحا إلا فى حقك ولا تطمعن فى مال أقاربك فإن القليل الذى اختلس منه يولد العداوة حتى عند صاحب الطبع اللين.

- وإذا أردت أن يكون خلقك محمودا وأن تحرر نفسك مما هو قبيح فأحذر الشراهة فأنها مرض مملوء بالداء ولا يشفى ، والصداقة معها مستحيلة

فإنها تجعل الصديق العذب مرا وتقصى ذا الثقة عن سيده وتجعل كلا من الأب والأم قبيحا وكذلك الأخوال ، وتفصل الزوج عن زوجته وهى حزمة من كل أنواع الشر وحقيبة من كل شئ مرذول ، وأن الرجل الذى يتبع طريقة حقه فى سلوكه ويسير على الصراط السوى يعيش طويلا ويكسب الغنى بذلك ولكن الشره لا قبر له ، أى لا بقاء له ولا قيمة.

- والتواضع عند "بتاح" ضرورة لحصول العلم والحكمة وتحقيق الرضا الإلهى. وفى هذا جاء قوله الواضح: "سوف يرضى الإله عملك إذا كنت متواضعا وعاشرت الحكماء" فى إشارة إلى اكتساب التواضع وتعلمه من مجالسة ومعاشرة الحكماء لأنهم أكثر الناس تواضعا.

- وعندما نتأمل أراء "بتاح" فى التواضع سنلاحظ التشابه الكبير بينها وبين ما جاء فى القرآن والحديث من حث على التواضع بهذا المفهوم العملى العام مما يؤكد مدى تأثر الحكم المصرية بأقوال الأنبياء والرسل ومعرفتهم بالأديان السماوية وسبق إيمانهم بالألوهية والوحدانية والتزامهم بالمثل ومكارم الأخلاق وهذا الرأى ذهب إليه العديد من الباحثين والمفكرين من قبل وفى مقدمتهم : دكتور عبد العزيز صالح ، دكتور سليم حسن ، دكتور عبد الرحيم صدقى ، دكتور نديم السيار وغيرهم واستدلوا على ذلك بعدة أدلة:

١. أن التواضع صفة لازمة للأنبياء والرسل والحكماء الصالحين لأنهم الأسوة والمثل فى التواضع والسماحة والصبر والعدل والتحمل.

٢. إن حكم "بتاح" وأقواله فى التواضع ونبذ الغرور والتكبر تتشابه تماما مع ما جاء على لسان الأنبياء والرسل وما جاء فى القرآن الكريم على لسان "لقمان الحكيم" ...... مثال ذلك:

   - قول بتاح لأبنه : ولاتكن متكبرا ولاتكن منتفخ الأوداج.

وهذا شبيه لقول لقمان لابنه : ﴿ولا تصعر خدك للناس﴾. [لقمان ١٨]

فالتشابه التام في المعنى والهدف والدعوة إلى البعد عن التكبر والتعاظم والالتزام بالتواضع وحسن الخلق وعلامته ألا يعرض الإنسان عن أمثاله من البشر.

- وقول بتاح لابنه : وإذا فاه أخوك بالشر فانصحه.

مثل قول لقمان لابنه: ﴿وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور". [لقمان ١٧]

فالتشابه قائم في التنبيه على أن التواضع لا يعني العزلة بل يعني المشاركة في تحقيق الخير والبعد عن الشر.

- وقول بتاح لابنه : أعلم أن بيت الزاني مآله الخراب ، وأن كل زان لابد أن يكون ممقوتا من الإله لأن ذلك مخالف للشرائع.

وأن من خالف الشرائع والقوانين الإلهية نال شر الجزاء.

- فهذا يشبه ما جاء في القرآن في آيات عديدة في سورة الفرقان والممتحنة والإسراء والنور من حث على الخير وابتعاد عن الشرور.

ففي سورة الإسراء جاء قوله تعالى : ﴿ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا﴾. [الإسراء ٣٢]

- وقول بتاح لابنه : أسس لنفسك بيتا وأحبب زوجتك فإنها حقل طيب ومثمر لسيدها.

يؤيده قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾. [البقرة ٢٢٣]

- والتواضع في مقام المشاورة يظهر في قول "بتاح" لابنه :

"فشاور الجاهل والعاقل لأن نهاية العلم لا يمكن الوصول إليها وليس هناك عالم يسيطر على فنه تماما"

وذلك يؤيده قول الحق سبحانه وتعالى :

﴿وشاورهم فى الأمر﴾[آل عمران ١٥٩]

﴿وأمرهم شورى بينهم﴾[الشورى ٣٨]

﴿وفوق كل ذى علم عليم﴾[يوسف ٧٦]

- والتواضع فى مقام الصداقة : فى قول "بتاح" لابنه: إن الصدق جميل وقيمته خالدة ، وإنه لم يتزحزح منذ يوم خالقه والذى يتخطى نواميسه يعاقب.

وذلك يؤيده قول النبى ﷺ: "إن الصدق يهدى إلى البر وإن البر يهدى إلى الجنة".

- والتواضع لا يكون إلا مع التسامح والبعد عن لغو الحديث:

يظهر ذلك فى قول "بتاح" لابنه : لا تكثر من اللغو ولا تسمعه.

وذلك يؤيده قول الله سبحانه وتعالى : ﴿وإذا مروا باللغو مروا كراما﴾[الفرقان ٧٢]

وقوله تعالى : ﴿والذين هم عن اللغو معرضون﴾ [المؤمنون٥٤]

- والتواضع لا يكون إلا مع الالتزام والاحترام وأداء الأمانة.

فيه يقول "بتاح" لابنه : لا تخن من ائتمنك والأمين يؤدى أمانته.

يؤيده قوله تعالى : ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾ [النساء ٥٨]

يؤيده قوله تعالى: ﴿فإن أمن بعضكم بعضا فليؤد الذى أؤتمن أمانته وليتق الله ربه﴾[البقرة ٢٨٣]

وقول النبى ﷺ : "أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك".

- **وقول بتـــاح لابنه** : ما على الرسول إلا البلاغ ولكـــن بغـــير خلــط"

يؤيده قول الحـــق ســبحانه وتعـــالى: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما انزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ﴾[المـــائدة ٦٧].

وقوله تعـــالى : ﴿ما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾[النـــور ٥٤]

- **وقول "بتـــاح" لابنه** : وليكن للناس نصيب ممـــا تملـــك فـــهذا واجـــب على من يكون صفيـــا لله".

يؤيده قوله تعالى: ﴿والذين في أموالهم حق معلوم * للسائل والمحروم﴾[المعارج ٢٤،٢٥]

- وقول "بتـــــاح" لابنــــه : وإذا حكمـــت بيـــن النـــاس فاســلك طريـــق العـدل.

يؤيده قوله تعـــالى: ﴿وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ﴾ [النســاء ٥٨]

- **والتواضع عنـــد "بتــــاح"** لا يتحقـــق إلا فـــى إطـــار الطاعـــة ، لأن المتواضع متأدب مع الإله مطيع لإرادتـــه وشـــرائعه ومـــن هنـــا كـــان حرص "بتـــاح" الدائـــم علـــى أن يذكـــر ابنـــه بـــأن مـــن يخـــالف الشرائع الإلهية سيكون ممقوتـــا مـــن الله وســـينال شـــر الجـــزاء ، لأن التواضع يستلزم تمام الطاعـــة لإرادة الله وحكمتـــه.

- **وفى هذا قـــال "بتــــاح"** : مـــا أراده الله يتحقـــق وأن الجـــهول مـــن يعترض علـــى إرادة الله .

وهذا موافق لما جاء فى القرآن الكريم فى آيـــات عديـــدة تؤكـــد حريـــة الإرادة الإلهية المطلقة مثل قوله تعالى: ﴿ إن الله يفعل ما يريد ﴾[الحج ١٤]

وقولـــه تعـــالى : ﴿ وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شئ قدير﴾[آل عمـــران ٢٦]

وهذا موافق لما قاله "بتاح" لابنه : "أن الله يعز من يشاء ويزل من يشاء لأن بيده مقاليد الأمور".

- والتواضع سمة عامة من سمات الصالحين وأدبهم وسماحتهم وصبرهم وعدم غرورهم وامتثالهم لأوامر الله ورعايتهم للحقوق والواجبات واحترامهم لأمثالهم والتزامهم بالعهود والمواثيق وأخلاق الرحمة والعدل والإنصاف. حتى أن المتصوفة أقاموا حياتهم على التواضع ونبذ الكبر والغرور لأنه آفة تحبط العمل.

فتحدث الحارث بن أسد المحاسبى عن الكبر وعلته فقال : الكبر يتشعب من العجب والحقد والحسد والرياء ، وأصل ذلك من جهل معرفة القدر فإذا جهل العبد قدره تكبر"[1]

وأكد هذا المعنى الفضيل بن عياض فقال : من رأى لنفسه قيمة فليس له فى التواضع نصيب.

وعرف التواضع بقوله : إن التواضع أن تخضع للحق وتنقاد له وتقبله ممن قاله"[2]

- والتواضع عند أبى يزيد البسطامى مقام رفيع لأن الرجل يكون متواضعا إذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالا ولا فى الخلق من هو شر منه.[3]

- والتواضع عند الغزالى يكون فى البعد عن الكبر والعجب ولا يكون إلا فى التوسط والبعد عن الرذائل فالتواضع عنده هو الوقار.

---

[1] الرعاية للمحاسبى ص ٤٥٠ – ٤٩٠.

[2] الرسالة القشيرية جـ ١ ص ٤٣٢.

[3] الرسالة القشيرية : ٤٣٣.

- والتواضع لا يكون إلا مع عزة النفس والقدرة على ضبط النفس وتوجيه السلوك وهذا معنى قول الغزالى بأن التواضع رذيلة والكبر رذيلة والوقار فضيلة تتوسطها.

وقال يحيى بن معاذ : "إن التكبر على من تكبر عليك بماله تواضع".

وهو نفس مقاله ابن المبارك فى أن التواضع هو التكبر على المتكبرين وليس كبرنا على التكبر إلا كبر حسن بالعلة الداعية إليه والحال الموجبة له.

- وهكذا كان التواضع عند المتصوفة اسم جامع لعزة النفس والصبر والحلم لان الحلم ضبط إرادى للانفعال فى مواجهة إساءات الآخرين. وكان التواضع عند رجال الأخلاق صفة لازمة لتحقيق المكانة وحفظ القدر ولا يتحقق إلا بالبعد عن الغرور والتكبر.

وكان التواضع عند "بتاح حوتب" حلم وأدب ودواء لأمراض النفس وشرورها.

- وفى القرآن الكريم كان التواضع فى مقدمة الفضائل التى دعا إلى التمسك والتخلق بها فى جميع الأحوال والأوقات لأن التواضع سمة من سمات المؤمنين وهو الدواء الذى يقى النفس من أمراض الغرور والتكبر ، وهذا المعنى قد أشار إليه الرسول ﷺ فى أحاديث عديدة منها قوله : [من تواضع لله رفعه] ، فهو فى نفسه صغير وفى أعين الناس عظيم ، ومن تكبر وضعه الله فهو فى أعين الناس صغير وفى نفسه كبير".

- وعندما سئل النبى ﷺ : [ما الكبر؟ أجاب : سفه الحق وغمط الناس]

وفى رواية أخرى : [ولكن الكبر من بطر الحق وغمط الناس]

فى إشارة إلى أن المتكبر مغرور لا يستمع للحق ولا يقبله لأن المتكبر مغرور يرى نفسه دائما أكبر مما هو عليه فى الواقع..

وهذا المعنى نفسه قد أشار إليه القرآن الكريم فى آيات عديدة منها قوله تعالى : ﴿وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ﴾[النساء ١٧٣]

وقوله تعالى : ﴿إنه لا يحب المستكبرين ﴾[النحل ٢٣]

وقولة تعالى: ﴿ فلبئس مثوى المتكبرين ﴾[النحل ٢٩]

وقوله تعالى: ﴿ساصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنون بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا﴾ [الأعراف ١٤٦]

- والتواضع فى معناه العام حلم ولين ورحمه مع ثقة فى النفس ، وصاحبه يتميز بالهدوء والسماحة والصدق والأمانة والبعد عن لغو الحديث ويسعى دائما بالخير بين الناس وفى هذا كان الحديث النبوى حول علامات التواضع فى قول النبى ﷺ : [ثلاث هى رأس التواضع أن يبدأ بالسلام من لقيه ويرضى الدون من شرف المجلس ويكره الرياء والسمعة].

  وفى حديث آخر : [من حلب شاته ورقع قميصه وخصف نعله وواكل خادمه وحمل من سوقه فقد برئ من الكبر].

- وإذا كان الحديث النبوى والخطاب القرآنى يؤيد ما قاله "بتاح" فى حكمه فهذا دليل على صدق "بتاح" وعلى معرفته بأقوال الرسل والأنبياء السابقين عليه ، ولولا قول "بتاح" إن حكمته ليست من ابتداعه وأنها هبه إلهية وأنه نقلها من الكتب السماوية

وحكم السابقين لما أوردنا هذه المقارنات بين حكمه وبين ما جاء في القران الكريم والحديث.

(٢) فضيلة الحكمة :

وحد "**بتاح حوتب**" بين العلم والحكمة فكان العلم عنده هو الحكمة ، وكانت الحكمة هى الاسم الجامع لجميع الفضائل والقيم ، ومن ثم كانت الحكمة من أهم الفضائل التى تجمع بين النظر والعمل وتتطلب مداومة عمل العقل فى تحصيل المعارف.

وقد استطاع "بتاح" أن يحدد وسائل تحصيل الحكمة ومجال استخدامها ومصدرها وماهيتها والغاية منها.

وإذا كان مصدر هذه الحكمة وأصلها هو المصدر الإلهى فان المستفيد الوحيد من هذه الحكمة هو الإنسان فى جميع أحواله وأفعاله وذلك لأن الحكمة تكون مع التزام الصدق والحق والتزام العدل وفعل الخير كما تكون من حسن الاستماع والطاعة والحذر من الوقوع فى الشر والخطأ.

- أما وسائل تحصيل هذه الحكمة فهى : كمال العقل وتمامه ، وحسن الاستماع عند التعلم ، والرغبة فى المعرفة ودوام المشاورة والتزام جانب الحق والصدق دائما.
- **فكمال العقل فى قوله** : اتبع لبك (أى عقلك) مادمت حيا ولا تفعلن أكثر مما قيل لك ، فإن ثروة المرء العظيمة هى عقله ... فى إشارة إلى ضرورة المحافظة على العقل وتدريب الذاكرة باستمرار والتزام جانب الاعتدال فى جميع الأقوال والأفعال لأن العقل هو ميزان هذه الأفكار والأفعال وهو وسيلة التمييز بينهما وهو الذى يختار أفضلها وأنفعها.
- **وحسن الاستماع كفضيلة** يظهر فى قول "بتاح" : إن المستمع هو الذى يحبه الإله ، أما الذى لا يستمع (أى لا يعى ولا يفهم) فإن الإله يبغضه.

وفى قوله : ما أفضل الابن حين يستمع إلى أبيـــه (حيــن يعلمـــه) فـــإن الابن إذا استمع لأبيه ووعى ما يلقيه عليه والده فإنــــه لــن يخيــب فـــى مشروع من مشروعاته وما أجمل أن يســـتمع الابــن إلــى أبيـــه لأنـــه سيطول عمره من جراء ذلـــك.

فى إشارة إلى أهميــــة الاســتماع بمعنـــى الوعـــى والفـــهم والالـــتزام ، فحســن الاستماع يكون مـــع الرغبــة والطاعـــة والتواضـــع والاســتعداد لتلقـــى العلــوم والمعارف ، فالاستماع يعنى حسن اســـتخدام **العقــل**.

- **وحسن الاستماع عنـــد "بتـــــاح"** أدب أخلاقـــى رفيـــع لا يتحقـــق إلا بـــالبعد عن اللغو والتزام أخلاق الصدق وحســـن المعاملـــة فالمســتمع لا يكــون تلميـــذا فقط بل قد يكون مسئولا وعندئذ يجب عليه الـــترفق بمـــن يحادثـــه. وفـــى هـــذا يقول "بتـــــاح" لابنـــه "لا تكــثر مـــن اللغـــو ولا تسـمعه ، وإذا كنــت ممــن يقصدهم الناس ليقدموا شكواهم فكن رحيما عندمـــا تســتمع إلـــى الشـــاكى ، ولا تعامله إلا بالحسنى" ، **ويقول أيضا** "ترفـــق حيــن تســمع حديــث الشـــاكى ولا تنهره حتى يفضى بما فى جوفه ويحكى ما جـــاء مـــن أجلــه ، فـــالمتظلم يجــب أن يؤمن على قوله حتـــى ينـــهى ظلامتـــه. والمـــهموم قـــد يفضـــل أن يواســـيه السامع عن أن يقضى له حاجته. ومن شأن حسن الاســـتماع أن يريـــح الفـــؤاد.
- **ويبين "بتـــاح"** الفـــائدة العمليـــة والعلميـــة مـــن الاســتماع الحســن للنصـــائح والحكم وهى زيادة الحكمة وثباتها أى دوامـــها والوعـــى بالحقـــائق وعلـــو القـــدر وتحقيق الخير ونشر الوعى بين الجميـــع وتحقيـــق المكانـــة الاجتماعيـــة العاليـــة والنجاح فى العمل وخلود السيرة والسعادة فى الدنيا والبقـــاء فـــى الآخـــرة.

فيقول "بتـــاح" مؤكدا هذا فى نصائحـــه : "إذا ســمعت هـــذه النصـــائح التـــى ذكرتها لك فأن حكمتك تصير فى تقدم حقيقـــى ، ومـــهما تكـــن فإنـــها الواســطة للوصول إلى الخير ، وما أحسن ترتيبها فى كل مجـــال ذكــرت فيـــه مـــن غــير تغيير يدخلها فى هذه الدنيا أبد الآبدين ، فـــهى النســيج الـــذى يصنـــع للتحســين وبه يتكلم الإنسان فيتعلم الكلام إذ بعد فهمها يصـــير أســتاذا والـــذى يكــون لـــه

استعداد لسماع هذا الكلام ويصغى إليه ينـــال النجــاح الــذى يبلــغ بــه الدرجــة الرفيعة ويضمن له الكمال السرمدى فـــلا شـــئ يهولـــه أبـــدا إذ بـــالعلوم تكـــون إدارته ثابتة ويكون بها فى الدنيـــا ســـعيدا.

- ودوام المشاورة لا يعنـــى الخـــروج عـــن آداب الحديـــث بـــل يعنـــى ضـــرورة الالتزام بصدق المعلومـــات ، والموضوعيـــة فـــى التعبيـــر والبعـــد عـــن الظلـــم والافتراء وألا يتسرع فى الحديـــث أو الحكـــم وضـــرورة تحـــرى الصـــدق فـــى جميع الأحوال ومن أجل ذلك نصح "بتـــاح" ابـــنه بوجـــوب الصمـــت عنـــد عدم التأكد من الحق وعدم اللغو فى الحديث حتى لا يحيـــد عـــن الصـــدق وقـــال له "لا تكثر من اللغو ولا تسمعه" وإذا كنت ممـــن يقصدهـــم النـــاس [للمشـــاورة أو الحكم] أو ليقدموا شـــكواهم فكـــن رحيمـــا عندمـــا تســـتمع إلـــى الشـــاكى ولا تعامله إلا بالحســـنى."

- والتزام جانب الحق والصدق فـــى قولـــه : "إن الصـــدق جميـــل وقيمتـــه خـــالدة وإنه لم يتزحزح منذ يوم خلقـــه والـــذى يتخطـــى نواميســـه يعـــاقب وهـــو أمـــام الضال كالطريق المســـتقيم".

ويقول : " حقيقة ان الشر يكسب الثروة ولكـــن قـــوة الصـــدق فـــى إنـــه يمكـــث والرجل المستقيم يقول إنه متاع والدى فى إشـــارة إلـــى اكتســـاب قيمـــة الصـــدق بالوراثة والتعلم معا من الآباء إلى الأبناء وكذا بـــاقى الفضـــائل والقيـــم.

- والقدرة على الإدراك والفهم وحسن الاستماع دليل التعلـــم ودليـــل قـــرب المعلـــم من المتعلم وشرط لنجاح عملية التعلـــم نفســـها وفـــى ذلـــك يقـــول "بتـــــاح" : "عليك أن تعلم من يستمع إليك كأنه ابنـــك ، ومـــن ســـيكون ناجحـــا فـــى نظـــر الأمراء هو من يوجه فهمه حيثما يقال لـــه لأن أكـــثر المصـــائب تـــنزل بمـــن لا يستمع".

- أما دوام المشاورة فى قولـــه : "تشـــاور الجـــاهل والعـــاقل لأن نهايـــة العلـــم لا يمكن الوصول إليها ، وليس هناك عالم يسيطر علـــى فنـــه تمامـــا.

فى إشارة إلى عموم المشاورة ومـــدى الحاجــة إليــها لأن العلــم لا يقــف عنــد حد معين وليس له نهاية ولذا طلب "بتـــــاح" مــن المعلــم أن يشــاور الجميــع العاقل والجاهل والذكـــر والأنثـــى وكــل مــن يمتلــك علمــا ولــو بســيطا لأن المشاورة طريق تحصيل العلــم والحكمــة.

- **والتزام جانب الحق والصدق فى قولـــه** : "لينطلــق قلمــك بــالحق ولا يخــط إلا الصدق بما يفيد الناس ويرضى الإله ، **وما أعظــم الحــق فــإن قيمتــه خــالدة ، فان الحق مثل الطريق السوى أمـــام الضـــال"**.

- فالقلم عند "بتـــــاح" رمز للعلم والحكمة الخــالدة ، والكــاتب هــو الحكيــم الــذى يعبر بقلمه خير تعبير عن الصدق والحق ، وهـــو يؤكــد هــذا المعنـــى بقولـــه : "إن صوت الناس يفنى ولكن صوت الكاتب أى الحكيم يعيـــش أبــد الدهــر".

ويقول : "القلم سلاحك الذى وهبك الإله إياه وخصك به ومـــيز بـــه مكـــانتك".

ويقول : "إن صوت القلم هو أعلى الأصـــوات لأنـــه صــوت الحــق ، والكتابــة حاسة مقدسة يهبها الإله للكاتب لترفعه فوق الناس فـــيرى مــالا يــرون ويســمع مالا يســمعون".

- وفى هذا تأكيد على أن الحكمة ليست مجرد أقوال وأفعال ، وليست مجرد صفــة أو مثال ، وليست مجرد فضيلة من فضائل الأخلاق ، بل هى منحة إلهيـــة واســتعداد نفسى لالتزام جانب الحق والصدق والتعبير عنه وذلك لأن الحكمة عند "بتـــــاح" لا تتوقف على مجرد السماع والصمت أو المشاورة والتعلم بل تتوقف على تحقيــق التوازن بين جانبى الحكمة وهما العقل والقلب الذى عبر عنـــها "بتــــاح" بلفــظ "اللب" وإنه إذا تحقق هذا التوازن نطق قلم الحكيم بالحق والصدق.[1]

---

[1] **راجع الفكر المصرى القديم وحكم امحوتب فى :**

- الكاتب المصرى : د. سيد كريم ص٩/٢٠.
- الشرق الأدنى القديم جـــ١ د. عبد العزيز صالح ص١٤٥ وما بعدها.
- حضارة مصر القديمة جـــ١ د. عبد العزيز صالح ص٣٧٨ – ٣٨٠.

(٣) فضيلة الصداقة :

من الفضائل الاجتماعية التى تدعم قيمة الفرد وتحافظ على كيان المجتمع. ويرى "بتاح" أن الصداقة لها متطلباتها الأساسية وفى مقدمتها الصدق والاستقامة والبعد عن الشرور والإخلاص والثقة والتعاون.

وقد استطاع "بتاح حوتب" إدراك العلاقة بين قيمة الصداقة وأثرها الإيجابى على النفس وبين الصداقة وغايتها الأخلاقية فى تحقيق الاستقامة والبعد عن الشر.

وإذا كان الصدق قول وفعل وأخبار عن معتقد حق فمجاله الصداقة وغايته تحقيق التآلف والتقارب وتدعيم ثقة المرء بنفسه وغيره. لأن من الصدق تتولد الصداقة الحقيقية ولأنه لا صداقة إلا مع الصدق ولأن الصدق معيار للحكم على الصداقة هذا المعنى ما أكده "بتاح" حين يقول : "إن الصدق جمال للنفس وكمال لها ، وإن الصدق جميل وقيمته خالدة ، وإن الصدق هبة إلهية وقانون سماوى لم يتزحزح منذ يوم خلقه والذى سيتخطى نواميسه يعاقب.

فهو أمام الضال كالطريق المستقيم وأن الخطأ لم يقد مقترفه إلى الشاطئ.

- والصداقة عند "بتاح حوتب" لا تكون إلا مع الاستقامة ، وأن مع الصداقة يكون الخير والفلاح لأن عماد الصداقة الصدق والاستقامة معا. وهو يقول فى هذا : "إذا كنت تبحث عن أخلاق من تريد مصاحبته فلا تسألنه ولكن اقترب منه وكن معه منفردا" ، وأمتحن قلبه بالمحادثة فإذا أفشى شيئا قد رآه وأتى أمرا تخجل له فعندئذ أحذر منه حتى أن تجاوبه (أى تقترب منه أو تصادقه)".
- والصداقة بهذا المعنى أساس لصلاح الفرد والمجتمع لأنها تقوم على الصراحة والتعاون والتفاهم ، فالصداقة فى حقيقتها صدق وخير وهى كالطريق المستقيم أمام الضال ، ويقول : حقيقة إن الشر يكسب الثروة ولكن قوة الصدق فى إنه يمكث والرجل المستقيم يقول إنه مفتاح والده فى إشارة إلى أن أفضل ما يرثه الابن عن أبيه هو قول الصدق وحسب الصداقة التى تقيه الشرور.

- والصداقة عند "بتاح" لا تكون إلا مع صدق المعاملة والإخلاص والود بين الأصدقاء الذى يظهر واضحا فى كرم الصديق لصديقه ووقوفه معه عند الشدائد والمصائب وأوقات السخط والضيق وهو يوضح هذا **فيقول** : "أشبع لأصدقائك بما جد لك كإنسان نال الحظوة عند الإله **[الحاكم]** ومن الحزم أن تفعل ذلك إذ ليس هناك إنسان يعرف مصيره إذا فكر فى الغد ، فإذا أصابت المقربين مصيبة فان الأصدقاء هم الذين لا يفتأون يقولون مرحبا له فعليك أن تستبقى ودهم لوقت السخط[1] الذى يهدد الإنسان.

- وقد أشار **الدكتور / مصطفى النشار إلى** مدى اهتمام فلاسفة اليونان بقيمة الصداقة وخاصة **أرسطو** فى كتابه : "**الأخلاق إلى نيقوماخوس**" حين تحدث عن أهمية الصداقة ودورها فى بناء الدولة لان الصداقة وسيلة للترابط وقيام دعائم التعاون والتفاهم والإخلاص وكلها لا تقوم إلا مع الصداقة واستشهد بقول **أرسطو** : إن الصداقة عندما تسود بين المواطنين تقوى الدولة ويترابط الأفراد ويسود العدل ، فلو سادت الصداقة بين المواطنين لما احتجنا لتطبيق العدالة.

- كما أشار إلى تمييز أرسطو بين صداقة المنفعة كصداقة وقتية زائلة وبين الصداقة الحقة كقيمة خلقية دائمة ، وتأكيده على أن الصداقة الحقيقة هى التى تكون لذات الصداقة ولا ترتبط بلذة أو منفعة ، لأن الصداقة الحقيقة هى صداقة الخير وهى دائمة". **ويمكن القول** : أن آراء "**بتاح حوتب**" فى فضيلته الصداقة فضلا عن السبق الزمنى فإنها كانت أكثر واقعية ومنطقية من آراء أرسطو إذ تمكن بتاح من بيان الآثار العملية للصداقة ومجالات تطبيقها وكيفية تحققها ولم يكتفى ببيان ماهيتها ، بل مهد إلى بيان فوائدها العملية فى الإطار الاجتماعى وهى فوائد مادية ومعنوية معا وأن هذه الفائدة تدوم مادامت

---

[1] **وقت السخط** : هو وقت الشدائد والملمات ووقت المرض والضيق ، ووقت الحاجة والعوذ.

الصداقة قائمة على الخير والصدق والعدل ، ففي الصداقة منفعة حين الشدة والضيق وحاجة الصديق لصديقه فهي صداقة خير لأنها تقوم على الود والتعاون والكرم الذي يجب أن يتحلى به الصديق دائما لأن ذلك واجب والتزام خلقي.........[1]

- ولكي تدوم هذه الصداقة وضع " بتاح " بعض المحاذير أو المعايير حتى تكون هذه الصداقة حقيقة ومفيدة ، فالصداقة تتطلب البعد عن الشرور والآثام ، كما تتطلب إخلاص الصديق للصديق واحترامه والمحافظة على أسراره والبعد عن مفسدات الصداقة التي حددها "بتاح" بقوله : " إذا أردت أن تحافظ على الصداقة في بيت تدخله سيدا أو أخا أو صاحبا فاحذر القرب من النساء فإن المكان الذي هن فيه ليس بالحسن ، ومن أجل هذا يذهب إلى الهلاك. ومن أجل دوام الصداقة حذر " بتاح " من الاختلاط أو الاقتراب من النساء في بيوت الأصدقاء لأن ذلك يفسد الصداقة ويورد الهلاك أو الموت وهو يؤكد هذا فيقول : "إذ أن ألف رجل قد يذهب بسبب متعه برهة قصيرة تضيع كالحلم ولا يجني الإنسان من معرفتهم غير الموت[2].

(٤) فضيلة الاعتدال :

الاعتدال لغة هو التوسط وفي الاصطلاح هو العفة وعدم التحيز لهوى أو لفئة دون أخرى.

---

[1] د. مصطفى النشار : مجلة الجمعية الفلسفية المصرية – العدد الأول ١٩٩٢.

[2] راجع في ذلك ما ذكره كل من :

- جيمس همزي برستيد في : فجر الضمير (ترجمة) ، ص ١٤٨.
- د. سليم حسن في : مصر القديمة جـ ١ ص ٤٢٢ – ٢٢٣.
- د. أميرة حلمي مطرفي : الفلسفة عند اليونان ، ص ٣٣٧.
- السيد أبو ضيف المدني : الأخلاق في الأديان السماوية – دار الشروق ط ١٩٨٨ ، ص٨٠.
- د. مصطفى النشار : مجلة الجمعية الفلسفية المصرية العدد الأول – ص ١٩٩.

والاعتدال شرعا هو العدل الذى أمرنا الله به فى قوله ﴿اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ [المائدة ٨]

وقوله تعالى : ﴿ان الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ [النحل ٩٠]

وقوله تعالى : ﴿وإذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل﴾[النساء ٥٨]

وقوله تعالى : ﴿وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى﴾ [الأنعام ١٥٢.]

والاعتدال عند بتاح حوتب هو ضبط النفس وعدم الإسراف ويتحقق الاعتدال بالبعد عن الشراهة وهو الطمع والإقبال على الدنيا وحب الذات..

- وتظهر أهمية فضيلة الاعتدال عند الفلاسفة ورجال الأخلاق والمتصوفة كذلك. فكان الاعتدال عند "**هيراقليط**" هو ضبط النفس "ولا يؤديه سوى النفس الجافة البعيدة عن الشراهة والشهوة وهى الأحكم والأفضل. ونفس المعنى هو الذى أشار إليه بتاح من قبل "**هيراقليط**" بألفى عام حين أكد على أن الاعتدال يكون فى ضبط النفس وعدم الإسراف ، فالاعتدال نظام تمارسه النفس لخيرها ، ولا يكون الاعتدال عند بتاح إلا فى البعد عن الشراهة والطمع ، فالشراهة من أكبر القبائح وأخطر الأمراض التى تصيب النفس. وقد عبر بتاح صراحة عن ذلك بقوله : " **إذا أردت أن يكون خلقك محمودا وأن تحرر نفسك مما هو قبيح فأحذر الشراهة فإنها مرض مملوء بالداء ولا شفاء له**" والصداقة معها مستحلية فإنها تجعل الصديق العذب مرا وتقصى ذا الثقة عن سيده وتجعل كلا من الأب والأم قبيحا وكذلك الأخوال ، وتفصل الزوج عن زوجته وهى (**أى الشراهة**) حزمة من كل أنواع الشر وحقيبة من كل شئ مرذول ، وأن الرجل الذى يتبع طريقة حقه فى سلوكه ويسير على الصراط السوى يعيش طويلا ويكسب الغنى بذلك ولكن الشره لا قبر له.

- ويحدد بتاح مجال ممارسة الاعتدال كقيمة خلقية يجب أن يتحلى بها المرء فى جميع شئونه ومعاملاته وأمور حياته اليومية فى بيته ومع أهله وأسرته وأقاربه وأصدقائه بحيث يتحول الاعتدال إلى منهج حياة للحفاظ على نفس الفرد والأسرة والعلاقة الطيبة مع الصديق والرئيس والزوجة والأباء

والأمهات والأخوال. ولكى يتحقق ذلك عمليا نصح بتاح ابنه بذلك فقال له :
"ولا تكونن شرها فى القسمة (أى معتدلا فى طلبك للحق)."

"ولا تكونن ملحا إلا فى حقك (فلا تتطلب غيره ولا أزيد منه)."

"ولا تطمعن فى مال أقاربك ، فإن القليل الذى اختلس منه يولد العداوة حتى عند صاحب الطبع اللين."

"فى إشارة واضحة إلى أن الشراهة تبعد عن الاعتدال وتظهر فى الإلحاح والطمع وأكل الحقوق والأموال وتورث البغضاء والحقد والكراهية بين الأهل والإخوان والأصدقاء".

- وكان الاعتدال عند "**سقراط وأفلاطون**" فى معرفة النفس وقواها والتحكم فى أهوائها ومعرفة ما يناسبها ، ولا يتم ذلك إلا بالعقل الذى يدرك جوهر النفس ويقودها إلى الحق والخير والصدق ، فإذا تم الإدراك هذا كان ضبط النفس لأن النفس أدركت الخير ففعلته وابتعدت عن الشر والظلم وعرفت الصدق فلم تكذب ولم تجبن.

* وإذا تأملنا أقوال بتاح فى فضيلة الاعتدال نرى تطابقا فى معنى الاعتدال كضبط للنفس وبعد عن الشراهة ، فإذا كان أفلاطون يرى الاعتدال فى تحلى النفس البغيضة بفضيلة العفة وأن تتحلى النفس البغيضة بفضيلة الشجاعة وأن تتحلى النفس العاقلة بفضيلة الحكمة ، فإن "بتاح" دعا إلى استخدام العقل لتحقيق الاعتدال وضبط النفس والبعد عن الشراهة فقال "**اتبع لبك**" أى اتبع عقلك الواعى المفكر لأنه الحكم العدل وضابط شهوات النفس ، فالعقل عند "بتاح" هو الذى يحقق الاعتدال والتوسط.

- والاعتدال عند "بتاح" يعنى تحقق العدالة والتزام جانب الخير والنظام والعدالة تتحقق مع الالتزام بالحق والصدق والذى بهما يتحقق كمال النفس وعلاج كل نقص أو مرض من أمراض النفس والهوى كالغش والكذب والغرور والتعالى. ولهذا حرص "بتاح" على بيان كيفية تحقق العدالة :

- والعدالة تتحقق مع الاستقامة والصدق فيقول "بتاح" "إن الصدق جميل وقيمته خالدة ، وإنه لم يتزحزح منذ يوم خالقه ، والذى يتخطى نواميسه يعاقب ، وهو أمام الضال كالطريق المستقيم "

- والعدالة تتحقق مع الحرص على هدوء النفس والبعد عن الانفعال ، وهذا الحرص هو الذى يدفع الفرد إلى أن يدقق فى اختيار مناسبات صمته ومناسبات كلامه حتى يراعى التوسط فى معاملاته ومطالب بدنه ، فالعدل تكافؤ ومساواة وعدم تحيز وبعد عن الإسراف أو التطرف فى القول أو الفعل بجميع أنواعه سواء كان هذا الفعل جادا أو مرحا أو لهوا وهذا هو الاعتدال المطلوب والذى يحققه تحكيم العقل وتحقيق التوازن ورغبات القلب والهوى دون تفريط أو إفراط ، ولذا كان نداء "بتاح" **إلى استخدام العقل لتحقيق الاعتدال فقال : "اتبع لبك مادمت حيا ولا تفعلن أكثر مما قيل لك ولا تنقص من الوقت الذى تتبع فيه قلبك ، ولا تشغلن نفسك يوميا بغير ما يتطلبه بيتك** وعندما يؤتيك الثراء متع نفسك لأن الثراء لا تتم فائدته إذا كان صاحبه معذبا".[1]

(٥) فضيلة التسامح:

التسامح فى اللغة يعنى العفو والرضا والتساهل أو المسالمة ، وعرف **فى الاصطلاح بمعنى الموافقة** على رأى مع إظهار القناعة والفهم دون معارضة ، **وفى المعنى العام عرف التسامح بأنه العفو عند المقدرة ، والصفح .**

والتسامح عند "بتاح حوتب" اسم مشتق من السماحة الظاهر فى بشاشة الوجه وأمان النفس ، وعندما طالب "بتاح" ابنه بالتسامح قال له : **"وكن سمح الوجه مادمت حيا ، فان ما يخرج من الشونة لا يعود فيدخلها** " ولم يكتف "بتاح" بالدعوة إلى التسامح كفضيلة أخلاقية يجب أن يتحلى بها المرء لتكمل

---

(١) - د . **مصطفى النشار** : المجلة الفلسفية : ٢١٣ - ٢١٤ .
- د . **سليم حسن** : مصر القديمة : ص ٤٢١ - ٤٢٢ .

صفاته وتكثر حسناته وينجح فى مختلف أمور حياتـــه بـل حـرص علـى بيـان حقيقـة التسامح وأهميته ومجالات ممارســـته.

أ) حقيقة التسامح عند "بتـاح حوتـب" فى صفات أربعة هى :

المسالمة - والإخلاص - والتواضع - والرحمة.

وهو ما يظهر فـى ليـن المعاملـة أو المعاملـة بالحسـنى ذلـك لأن التسـامح يجـب أن يبـدأ بالمسـالمة ، والمسـالمة كسـلوك سـلمى يجـب أن يتصـف بـالخير والتواضع والرحمة. ولتأكيد هـذه المعـانى قـال "بتـــاح" لابنـه: "إذا كنـت ممـن يقصدهم الناس ليقدموا شكواهم فكن رحيما عندمـا تسـتمع إلـى الشـاكى ولا تعاملـه إلا بالحسـنى".

ولأن التسامح من دوافع الرحمة والعدل والمسالمة والبعـد عـن العنـف حـذر بتاح ابنه من مخاطر التخلـى عـن التسـامح ودعـاه إلـى التمسـك بفضيلـة التسامح فقال له : لا توقع الفزع فى قلوب البشر لئـلا يضربـك الإلـه بعصـا انتقامه". وقال له أيضا : "ساير نفسك ما حييـت ، ولكـن لا تتجـاوز العـرف" فى إشارة إلى أن التسامح لا يعنى الخروج عـن العـرف والتقـاليد . بـل هـو فى حقيقته التزام أخلاقى وسلوك إنسانى رفيع وهذا ما بينـه بتـاح لابنـه حيـن قال له : لا تتشاجر مع أى شخص عظيمـا كـان أو بسـيطا فـان ذلـك أمـر كريه فلم يحدث أبدا إن عمل السوء يوصل صاحبه سـالما إلـى مأمنـه .

(ب) مجـالات التسـامـح :

حدد "بتـاح" ثلاثة مجـالات للتسـامح هـى المجـال الاجتمـاعى والمجـال الوظيفى ومجال التعلـم.

ففـى المجـال الاجتمـاعى :

يظهر التسامح عند تطبيـق مبـدأ العـدل الاجتمـاعى فـى الإطـار الأسـرى سواء بين الزوج والزوجـة أو الوالـد وأبنائـه أو الأخـوة والجـيران . حيـث يتحقـق التسامح فى مظاهر الطاعة والحب والود وحسن الاسـتماع والـود مـن الأبنـاء للآبـاء

وطاعتهم ، وقد عبر بتاح[1]عن ذلك بقوله : "**إن الابن المستمع المطيع يحبه الإله ، والكلام الطيب هدية من الله**".

كما يظهر فى مسامحة الزوج لزوجته وإظهار الود والرحمة والشفقة بها وحسن الإنفاق عليها وتلبية احتياجاتها ، ولذا نصح بتاح ابنه بالتسامح الدائم مع زوجته فقال له : إذا تزوجت امرأة فلا تعنفها بل دعها منشرحة الصدر أكثر من نساء بلدها ... إذا كنت شخصا عاقلا فأحبب زوجتك التى تعيش فى منزلك بصدق وأمانة ، وقدم لها أطيب الطعام وأكسها بأفضل الكساء وقدم لها أزكى العطور وأدخل السرور إلى قلبها طيلة حياتها".

والتسامح عند "بتاح" لا يتوقف عند حسن معاملة الزوج لزوجته أو الابن لأبيه بل يتعدى إلى حدود الجيران والأصدقاء ، فالمتسامح يجب أن يبتعد عن القسوة والعنف ويجب أن يصفح عن هفوات الجيران وخطأهم ، وهذا ما طلبه بتاح حين قال : "**لا تكن سيئ الخلق مع جيرانك ، والصفح عن السفيه خير من القسوة ، فإن أخطأ الزعلان فى حق جيرانه لا يدرك كيف يوجه كلامه** (دليل الغضب والحزن أو الشعور بالندم) وبدل من أن تكون الإساءة قليلة سينشأ عنها الكدر مكان الصفو".

والتسامح يجب أن يكون مع جميع الأهل وحسن معاملتهم ، وهذا ما نبه إليه بتاح حين قال :أحسن العمل مع أهلك كما يناسب لأن هذا فعل يفضله **الإله ومن قصر فى حسن العمل مع أهله يقال عنه إنه رجل ملعون** .

وفى المجال الوظيفى :

يجب أن يسود التسامح بين الرئيس والمرؤوس لأن التسامح سيساهم فى إنجاز الأعمال ، فالتسامح هنا يظهر فى حسن الاستجابة من الرئيس وطاعة المرؤوس. ومن أجل ذلك طالب بتاح بالتسامح الظاهر فى رفق المعاملة والتأدب

---

[1] بتاح حوتب رائد الفكر الأخلاقى فى مصر القديمة - د . مصطفى النشار - مجلة الجمعية الفلسفية العدد (١) -يونيو ١٩٩٢ م - ص ٢٨١ - ٢٨٣ .

عند التخاطب وسعة الصدر ومواساة أصحاب الحاجات والشكاوى والمظلومين من المرؤوسين. **فقال** : "ترفق حين تسمع إلى حديث الشاكى حتى يقضى بما فى جوفه ويحكى ما جاء من أجله ، فالمتظلم يجب أن يؤمن السامع على قوله حتى ينهى كلامه والمهموم قد يفضل أن يواسيه السامع عن أن يقضى له حاجاته ومن شأن حسن الاستماع أن يريح الفؤاد .

- كما دعى بتاح إلى حسن المعاملة والشفقة مع أصحاب الحاجات فهم أحوج الناس إلى التسامح والصفح . **فقال لابنه** : إذا كنت ممن يقدم لهم الشكاوى فكن شفيقا حين تسمع كلام المتظلم ولا تسئ معاملته إلى أن يغسل بطنه وإلى أن يقول ما قد جاء من أجله ، وأن المتظلم يحب كثيرا أن يهز الإنسان رأسه إلى كلامه وأن مجلسا حسنا يسر القلب" الخ...

(وواضح من مقابلة النصين إنه مجرد تعدد فى الترجمة لنص واحد لأقوال بتاح حوتب).

وفى مجال التعلم :

دعى بتاح إلى التسامح مع المتعلم ، فالتسامح شرط لحصول التعلم **فقال** : "عليك أن تعلم من يستمع إليك كأنه ابنك "ولا تكن متكبرا ولا تكونن منتفخ الأوداج وإذا فاه أخوك بالشر فانصحه ولا تتعالى لأنك رجل عالم ".

(حـ) أهمية التسامح :

كما حدد بتاح أهمية التسامح كفضيلة عملية لها أهميتها للفرد والمجتمع فى تحقيق الرضا والقناعة وأمان النفس وكف الغضب عن الآخرين وحسن المعاملة للجيران فقال : "إذا غضبت ولا دواء لذلك أو كنت معنفا من قبل أحد فصد عنه بوجهك (أى سامحه) ولا تفكر فيه حتى يكف الكلام عنك" . فى إشارة إلى قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم ﴾[فصلت ٣٤]

- والتسامح عامل من عوامل تقوية الروابط الاجتماعية داخل الأسرة وتحقيق الأمن النفسى وفى ذلك **يقول بتاح** : "والمهموم قد يفضل أن يواسيه

السامع ومن شأن حسن الاستماع أن يريح الفؤاد .. والمجلس الحسن يريح القلب.

- ومن فوائد التسامح التى أشار إليها "بتاح" أن يشفى النفس من أمراضها التى لا دواء لها كالغرور والتكبر ولذا فالتسامح وحده هو الذى يعود النفس على العطاء والتواضع ولذا كانت نصائح بتاح إلى التسامح فقال "إن مهموم النفس طوال يومه لن يصيب لنفسه فترة هنيئة ومكشوف النفس طوال يومه لن يشيد لنفسه دارا سعيدة ومن أطاع بدنه كان عدوا لنفسه".

- **ولأن التسامح يحقق التواضع ويبعد عن الغرور حرص "بتاح" أن يذكر** ابنه دائما بأوقات الشدة والحاجة والفقر قبل الغنى والثروة ليكون دائما متسامحا ومعطاءا لأصحاب الحاجات فقال له : "إذا أصبحت عظيما بعد أن كنت صغير القدر وصرت صاحب ثروة بعد أن كنت محتاجا فلا تنسين كيف كانت حالتك فى الزمن الماضى".

ومن أهمية "التسامح" أيضا أنه يشفى النفس من مرض الشراهة والطمع العضال بل هو الذى يحقق التواضع والاعتدال. وفى ذلك قال بتاح **"ولا تكونن شرها فى القسمة ، ولا تكونن ملحا إلا فى حقك ولا تطمعن فى مال أقاربك فإن القليل الذى اختلس منه يولد العداوة حتى عند صاحب الطبع اللين".**

(٦) فضيلة الصمت :

يعتبر الصمت من الفضائل الاجتماعية كالتواضع والصدق والاعتدال والتسامح ، وقد آثار انتباه العديد من رجال الأخلاق والدين وخاصة بعد أن أشار إلى أهميته القرآن الكريم والحديث النبوى ، حيث ارتبط بالقول والتعبير عن الرأى أحيانا كما ارتبط بالطاعة والسمع والتأدب أحيانا والتعبير عن الحكمة والفهم أحيانا أخرى.

ففى سورة الإسراء جاء لزوم الصمت للتعبير عن طاعة الوالدين والرحمة بهما فى قوله تعالى : ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما ۞ واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا﴾[الإسراء ٢٣ ، ٢٤]

- أما فى الحديث النبوى الشريف : "فقد جاء الصمت للدلالة على قوة الإرادة والفهم والعلم بحقيقة الأمور وتقدير متى يجب الكلام ومتى يجب الصمت وهذا هو صمت الحكمة وعندها يكون فضيلة . وهذا ما دعى إليه النبى ﷺ حين قال : [عليكم بقلة الكلام ، فإنك ما كنت ساكتا فأنت سالم فإذا تكلمت فلك أو عليك].

ويقول أيضا: [الصمت حكمه وقليل فاعله][1]

- وعند بتاح حوتب جاء الصمت بمعنى الحذر الذكى المطلوب عند حسن الاستماع كما جاء للدلالة على التواضع والاحترام كما جاء للدلالة على عزة النفس وعلو القدر وتمام الفهم .

فالصمت عنده فضيلة لازمة عند السماع وفيه يقول : ما أجمل أن يستمع الابن إلى أبيه لأنه سيطول عمره من جراء ذلك ، ولأن من يستمع يظل محبوبا من الإله.

والصمت حكمة لازمة عند الشعور بالخطر والحذر من الوقوع فى الخطأ ولهذا حرص "بتاح" تنبيه ابنه إلى ذلك فقال له : "عليك الالتزام بالحذر فى حضرة العظماء".

وعليك باحترام الرئيس طبقا لما وصل إليه دون النظر إلى أصله قبل رئاسته لأن الثمرة لا تأتى عفوا : وعليك بالتحلى بالصمت أمام الرئيس

---

(1) الفضائل الخلقية فى الإسلام : د . أحمد عبد الرحمن إبراهيم - ص٢٤٥ - ٢٤٧.

ولا تتكلم إلا بعلم وحين تسجل المعضلات ، لأن صناعة الكلام أصعب من أى حرفة أخرى.

- وهكذا قدم "بتاح حوتب" بعض مبررات الصمت منها صعوبة الكلام بمعنى صعوبة التعبير والرغبة فى البعد عن اللغو وإبداء الاحترام للعظماء والبعد عن ضرر الآخرين وإظهار عزة النفس وإخفاء الحكمة والحفاظ على المعرفة وبقائها.

وجاءت عباراته واضحة للتدليل على هذه المعانى حين قال : "لا تكثر من اللغو ولا تسمعه".

"إذا وجدت خطيبا فى زمانك سليم العقل أمهر منك فأثن له ذراعك وأحنى له ظهرك ، أما إذا تكلم جهرا فلا تقصرن حينئذ فى مقاومته حتى ينادى به فى الناس أنت إنسان جاهل . ولكن إذا كان مماثلا لك فأظهر بصمتك إنك أفضل منه إذا أخطأ فى الكلام وعندئذ سيمدحه السامعون ولكن اسمك سيعتبر حسنا بين العظماء".

- والصمت عند "بتاح حوتب" ضرورة للتعبير عن الحكمة والخلود لأن صمت الحكمة أفضل من الكلام وتعليل ذلك عند بتاح أن صوت الناس يفنى ولكن صوت الكاتب يعيش أبد الدهر".

وفى الصمت عزة النفس وعلو القدر وفى ذلك يقول "بتاح" : عزة النفس هى أن تزكو سمعتك بغير أن تتكلم ويطريك الناس من حيث لا تعلم ولقد عزت نفوس إتباع الإله وحده".

وظلت فضيلة الصمت مثار الجدل والحوار عند رجال الدين والأخلاق فمنهم من ذم الصمت وأعتبره رذيلة ومنهم من جعله قمة للفضائل وحسن الخلق.

فالصمت فضيلة مرغوبة عندما يكون هو الكف عن الكلام الخاطئ . وعند تجنب زلات اللسان وعند الحذر من الخطأ والكف عن الأذى عن الآخرين

وهذا هو النوع الذى وصفه النبـــى ﷺ كوقايــة مــن المخــاطر حيــن قــال: "إنك ما كنت ساكتا فأنت ســـالم فــإذا تكلمــت فلــك أو عليــك" . **والصمــت لازم عندما يكون الكلام مزموم** وعند لغو الكلام وعند العجـــز عــن معرفــة وجــوب الصواب من الأمر وهذا ما يقصده الشـــرع مــن قولــه تعــالى : **﴿والذيــن هــم عن اللغو معرضـــون﴾**[1]

ووصف القشيرى فى رســالته مــدى إيثــار الصـــالحين للصمــت عنــد خشــية آفات الكلام فيلزم الصمت تجنبا لتلـــك الآفـــات .

ويعـــلـــل القشيرى لزوم الصمت عندهم بقوله : "فلمـــا علمـــوا مـــا فـــى الكـــلام من الآفات ثم ما فيه من خطر النفس وإظـــهار صفــات المــدح والميــل إلـــى أن يتميز المتكلم بين أشكاله بحسن النطق لذموا الصمـــت وقدمــوه علـــى الكـــلام"[2]

.

وكان الإمام الغزالى من المؤيديـــن للصمـــت كفضيلـــة أخلاقيـــة وأســـتدل علـــى ذلك بقوله : إن ثلاثة أرباع الكلام يجب تركـــها والربـــع الأخـــير فيــه خطــر إذ يمتزج بما فيه من إثم مـــن رقـــائق الريـــاء والتصنـــع والغيبـــة وتزكيـــة النفـــس وفضول الكلام امتزاجا يخفى دركه فيكون الإنســـان بـــه مخـــاطرا[3].

والصمت عنـــد الغزالـــى مقـــدم علـــى الكـــلام ولازم لتزكيـــة النفـــس وإكمالـــها وشفائها من كل نقص وآفة وهـــو يقـــول :"أعلـــم إن كـــثرة آفـــات اللســـان مـــن الخطأ والكذب والغيبة والنميمـــة والريـــاء والنفـــاق والفحـــش والمـــراء وتزكيـــة النفس والخـــوض فـــى البـــاطل والخصومـــة والفضـــول والتحريـــف والزيـــادة والنقصان وإيذاء الخلق وهتـــك العـــورات .

---

[1] المؤمنون : (٣).

[2] الرسالة للقشيرى حـــ ١ ص ٣٧٨.

[3] أحياء علوم الدين للإمام الغزالى حـــ ٣ ص ١٤١.

فهذه آفات كثيرة وهى سباقة إلى اللسان لا تـثـقـل عليـه ولـها حـلاوة فـى القلب وعليها بواعث من الطبع ومن الشـيطان والخـائض فيـها قلمـا يقـدر أن يمسك اللسان فيطلقه بما يجب ويكفه عمـا لا يجـب[1]

ورغم ما للصمت من فوائد أخلاقية واجتماعية ومـا فيـه مـن حكمـة وتسـامح وتواضع وخير فإن الكثيرين يذمـون الصمـت ويعتبرونـه رذيلـة وقـالوا: "إن الصمت يذم عند السكوت عـن الحـق ، والصـامت يـأثم إذا لاذ بـالصمت إزاء الكذب والتضليل والجور علـى الحقيقـة والصمـت يـذم أيضـا عنـد وجـوب الكلمة الطيبة وعند الصدق والشهادة واسـتدل أصحـاب هـذا الـرأى بـالحديث النبوى: "**إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقـى لـها بـالا يرفعـه الله بها درجـات**".

ويقول النبـى ﷺ أيضـا : [إن من أفضل الأعمال كلمة حق تقال عند سلطان جائر].

وقولـه ﷺ : [من سكت عن الحق فهو شيطان أخرس].

وكانت هذه الأدلة كافية لقولهم بأن الصمت رذيلـة عندمـا يكـون سـكوت عـن الحق ورأى بعض فقهاء الكـلام أن الصمـت فضيلـة محـدودة القيمـة أو هـو فضيلة مرذولة وغير محببة وذم بعضهم الصمـت فقـال :

- **الإمام الشاطبى فى الاعتصام** : "إن القول بان الصمـت فـى ذاتـه عبـادة فذلـك القول هو من البدعـة".
- **وقال الراغب الأصبهانى فى الذريعة** : "إن الصمـت مـن حيـث هـو الصمـت مذموم فذلك من صفات الجمـادات".
- **وقال الأحنـف بـن قيـس** : " النطـق أفضـل لأن فضـل الصمـت لا يعـود صاحبه ، والمنطق الحسن ينتفع به مـن سـمعه".

---

[3] الأحياء حـ ٣ وفى الفضائل الخلقية فى الإسلام ص ٢٤٦.

- وقال السفارينى فى غذاء الألباب : "والمعتمد أن الكلام أفضل لأنه من باب التحلية والسكوت من التخلية ، أفضل لأن المتكلم حصل له ما حصل للساكت وزيادة وذلك أن غاية ما يحصل للساكت السلامة ، وهى حاصلة لمن يتكلم بالخير مع ثواب الخير.[1]

تقييم فلسفة "بتاح حوتب" :

- قدم الدكتور عبد العزيز صالح فى الجزء الأول من كتابه : "الشرق الأدنى القديم" تقييما لفكر "بتاح حوتب" ضمن الإطار العام للحضارة المصرية القديمة ، وذهب إلى أن "بتاح حوتب" قدم فكرا فلسفيا ومنهجا تربويا فى كيفية بناء الأسرة المتماسكة وعوامل بناء المجتمع السليم وما يجب أن تكون عليه الأسرة والفرد كأساس فى هذا البناء ورأى أن ما قدمه "بتاح" من حكم ونصائح هو خلاصة الخبرات والتجارب والحكم والعادات المتوارثة والمستمدة من تراث كبار الحكماء والأدباء وكذلك الرسل والأنبياء السابقين عليه.

كما أشار إلى مدى اهتمام "بتاح" ببيان مكونات الشخصية السوية والتنبيه إلى أهمية الجانب النفسى والانفعالى فى إحداث التوازن فى الشخصية وتحقيق الرضا والشعور بالسعادة ، وكيف كان "بتاح" يقدم الجانب المعنوى على الجوانب الحسية والمادية المكونة للشخصية.

وقد استدل الدكتور / عبد العزيز صالح على رأيه ببعض حكم "بتاح حوتب" منها " ساير نفسك ما حييت ولكن لا تتجاوز العرف ، وإياك أن

---

[1] راجع : الفضائل الخلقية فى الإسلام : د. أحمد عبد الرحمن إبراهيم – دار الوفاء طبعة أولى ١٩٨٩ (ص ٢٤٥ / ٢٤٨)

- أحياء علوم الدين : للإمام أبو حامد الغزالى جـ ٣ ص ١٤١.
- غذاء الألباب للسفارينى ص ٧٢ ، الذريعة للراغب الأصبهانى ص ١٠٢-١٠٣.
- وفى الاعتصام للشاطبى.

تبتر ساعة المتعة فالنفس تأبى أن يفسد وقــت متعتــها وعندمــا يواتيــك الـثراء ينبغى أن يستمع القلب ، فلن يجدى الثراء إذا أهمــل القلــب.

وكن سمح الوجه ما دمت حيا فإن ما يخــرج مــن الشــونة لــن يعــود فيدخلــها واستدل على اهتمام "**بتـــاح حـــوتـب**" بالأسرة ومـــا يجــب أن تكــون عليــه علاقة الزوج بالزوجة مـــن رعايـــة واهتمـــام وحـــب بقـــول "**بتـــاح**" لابنـــه "إذا أصبحت كفئا كون أسرتك وأحبب زوجتك فـــى حـــدود العـــرف ، وعاملـــها بمـــا يجب أن تستحق ، فأشبع جوفـــها وأســـتر ظـــهرها وعطـــر بشـــرتها بـــالدهن ، وأسعدها ما حييت ، فالمرأة حقل نافع إلـــى آمرهـــا "**ولـــى أمرهـــا** " ولا تتهمـــها عن سوء ظـــن وامتدحـــها تـــأمن شـــرها فـــإذا نفـــرت راقبـــها واســـتمل قلبـــها بعطاياك تستقر فى دارك وسوف يكيدها أن تعاشرها ضـــرة فـــى دارهـــا.[1]

- وقد أشار الدكتور سليم حسن فـــى الجـــزء الأول مـــن كتابـــه "الأدب المصـــرى القديم" إلى أهمية حكم "**بتـــاح حـــوتـب**" فى يقظـــة الوعـــى المصـــرى.

وأكد على أن مواعظ "**بتـــاح**" وحكمه التى ظلـــت منـــارة يســـتضاء بـــها فـــى معايير الأخلاق ، وأن هـــذه النصـــائح والآراء فـــى الديـــن و الأخـــلاق بقيـــت حكمـــها آلاف السنين كإرشادات وتعاليم دالة على الحكمة وداعيـــة لحســـن الخلـــق ، وقـــد أعـــتز بها المصريون فى جميع عصورهـــم.[2]

- **وعن أهمية حكم "بتاح حوتب"** فـــى بيـــان وحدانيـــة الله وقدرتـــه وإرادتـــه ذكـــر الدكتور أحمد فخرى فى كتابـــه "***مصـــر الفرعونيـــة***" إن هـــذا الحكيـــم كـــان من كبار الموحدين الذين تحدثوا عن وحدانية الإلـــه وصفاتـــه وعمـــوم قدرتـــه فـــى الخلق والرزق والحساب ، واستدل الدكتـــور فخـــرى علـــى ذلـــك ببعـــض آراء "**بتـــاح حوتب**" وحكمه منها قوله "***بيد الله مصـــير كـــل حـــى وأن تدبـــير الخلـــق بيد الله الذى يحب خلقـــه***"

---

[1] الشرق الأدنى القديم : جـــ ١ د. عبد العزيز صالح ، ص٣٨٧-٣٨٩.

[2] الأدب المصرى القديم : جـــ ١ د. سليم حسن ، ص١٨٦.

- **إن الله يعز من يشاء ويذل من يشـــاء** "لأن بيـده مقـاليد الأمـور وأنـه مـن العبث التعـرض لإرادة الله.

إن الإله وحده الذى يقدر الفلاح والنجـاح وإن مـا أراده الله يتحقـق[1]

- **وأشار الدكتور نديم السـيار فـى كتابـه** : "قدمـاء المصريين أول الموحدين إن "**بتـاح حـوتـب**" كان مـن أوائـل حكمـاء مصـر القديمـة الذين ظـهرت صفات الله واضحة فى آرائهم ، وإن ما ذكره عن هـذه الصفـات يـدل علـى مـدى إيمانه بالإله الواحد وتأثره بالنبوات وأستدل الدكتور نديـم السـيار علـى رأيـه بـأن حكم "**بتـاح**" قد جاء فيها اسم الله بصيغة الفرد وليس هنـاك لفـظ للجمـع لكلمـة أرباب أو آلهة مما يدل على إنه يخاطب موحدين كذلـك فـإن تشـابه حكـم "**بتـاح حوتب**" مع ما جاء من حكم ومواعظ فـى مصـر القديمـة وأن "**بتـاح**" كـان مـن المؤمنين الموحدين بالله وهو الرأى الذى أثبتته وأشـار إليـه العديـد مـن البـاحثين فى الفكر المصرى القديـم.[2]

- **وقدم الدكتور مصطفـى النشـار فـى بحثـه بعنـوان** : "بتـاح حـوتـب رائد الفكر الأخلاقـى فـى مصـر القديمـة تقيمـا شـاملا لحكـم بتـاح وآراءه الأخلاقية وأنتقد موقف بتـاح مـن مفـهوم العدالـة وتعـامل الفـرد مـع الإدارة والرؤساء": ورأى أن بتـاح كـان داعيـا إلـى نـوع مـن الأخـلاق العمليـة المعبرة عن القيم المصريـة التـى سـادت عصـر الدولـة القديمـة ، وأن جوهـر الحكمة عنده كـان فـى الالـتزام بالنظـام والعدالـة .. " مـاعت (MAAT) علـى أساس ضبط النفـس.

وأن بتـاح قد نجح فى توثيق الروابـط الاجتماعيـة بدعوتـه لنـبز الشـراهة وتدعيم قيم الحب المتبادلة داخل كيـان الأسـرة.

---

[1] مصر الفرعونية – د. أحمد فخرى – ص ١٣٨.

[2] القدماء المصريين أول الموحدين – جـ ١ – دكتور نديم السيار – ص ١٥٨ – ١٦١.

ووافق الدكتور النشار ما ذهب إليه جون ويلسون وتوملين فى كتابه "فلاسفة الشرق" من أن أراء بتاح قد بلغت حدا من النضج وأنه تميز بالفكر الثاقب والرأى السديد وفهمه العميق للأمور الدنيوية المقررة فى آن واحد.

وذهب الدكتور النشار إلى أن "بتاح حوتب" كان صاحب دعوة أصيلة توحد بين المنفعة والفضيلة ، وهى دعوة سابقة على أصحاب المذاهب النفعية فى الأخلاق سواء عند السوفسطائيين أو بعض المحدثين من أصحاب المذاهب الأخلاقية الغربية. سواء أصحاب مذهب المنفعة الفردية لدى توماس هويز أو أصحاب المنفعة العامة لدى جون ستيوارت وإتباعها فى العصر الحديث.

والتى تغلب عليها طابع الثقة بالنفس والاطمئنان إلى المستقبل وحب التقدم إلى الأمام. .

وأن بتاح كان مفكرا من طراز فريد فى تلك الفترة منذ الآلف الثالثة قبل الميلاد. وأن آراؤه قد تميزت بالنزعة الانفرادية المليئة بالحركة . ورأى الدكتور النشار أن فكر بتاح الأخلاقى كان يعكس واقعه السياسى والاجتماعى حيث تسلط الإدارات والرؤساء ، وانتقد موقف بتاح حين طالب ابنه بالتساهل مع هذا التسلط حرصا على المنصب والوظيفة والراتب...[1]

كما أنتقد اقتصار بتاح على المقاومة السلبية للظلم رغم موافقته لما ذهب إليه جيمس هنرى برستيد فى كتابه "فجر الضمير" الذى قال : وليس من

---

[1] بتاح حوتب رائد الفكر الأخلاقى فى مجلة الجمعية الفلسفية المصرية العدد (١) د. مصطفى النشار ص ٢٨٣ - ٢٨٩. وراجع كذلك آراء كل من الدكتور ... ثروت عكاشة فى كتابه الفن المصرى القديم حـ ١ ص ٢٦٤ ، والدكتورة نعمات أحمد فؤاد ، والدكتور أنطون ذكرى فى كتابه : الأدب والدين عند القدماء المصريين ص٦٤ ، وهنرى توماس فى كتابه : أعلام الفلاسفة ص٧ فرانسوا دوماس فى كتابه آلهه مصر ص١١٩ ، وما جاء فى موسوعة تاريخ الجنس العربى حـ٢ ص٣١٤.

شك أن هذه الشفقة من المسئول وسماعه شكوى الموظف والمظلوم ذات علاقة وطيدة بالمعاملة الحسنة المبنية على الحق والعدالة والتى أخذت مكانة سامية فى فكر بتاح الأخلاقى والسياسى .

- **ويمكن أن نتساءل هنا : أليس ما يدعو إليه "بتاح" من حسن المعاملة** والتسامح فى العمل بين الرئيس والمرؤوس هو ما تنادى به المؤسسات الاجتماعية الآن ، وما تقوم عليه مبادئ علم الإدارة الحديث .

ونتساءل أيضا هل دعوة بتاح للتسامح والتراحم والاعتدال والحب هو من جانب الضعف أم من جانب القدرة والقوة ؟ وهل قيام العلاقات الإنسانية والروابط الاجتماعية على حسن المعاملة والطاعة ضعف أم إنه عمل إيجابى مطلوب ومبدأ يجب أن يسود داخل إطار العمل لتدوم العلاقة وتقوى الروابط ويزيد الإنتاج ويتحقق الرضا والنجاح فى العمل ؟

وبعد هذه التساؤلات يمكن أن نقرر أن بتاح حوتب قد نجح بالعقل والتجربة فى تصوير ما يجب أن تكون عليه علاقة الرئيس بالمرؤوس والموظف العام بالمواطن أو المرؤوس ، كما نجح أيضا فى تصوير العلاقة بين الفرد وزميله والزوج مع زوجته والإنسان مع جيرانه وباقى أفراد مجتمعه.

وهو ما سبق أن أثبتناه عند عرض الفضائل الأخلاقية والاجتماعية عند "بتاح" . **ولا شك أن ما ذهب إليه الدكتور النشار حول أهمية حكم "بتاح حوتب" فى الأدب المصرى القديم وبناء الفكر الأخلاقى على** دعائم الخير والعدالة واعتماد المصريين على هذه الآراء لفترات طويلة من عصورهم لدرجة إنها كانت منهجا للحياة وجزءا من الحكمة المقدسة فى مصر القديمة فهذا رأى يوافقه الجميع عليه[1].

---

[1] بتاح حوتب رائد الفكر الأخلاقى فى مصر القديمة – د. مصطفى النشار – بحث فى مجلة الجمعية الفلسفية المصرية العدد (١) يونيو ١٩٩٢م – ص ٢٨٠-٢٩٠.

حكم بتاح حوتب :

وجدت نصوص هذه الحكم فى بردية مكونة من عدة لفائف من أوراق البردى عثر عليها فى مقبرة بتاح حوتب فى منطقة سقارة حيث قبور الأسرة الخامسة واشتهرت هذه النصوص باسم بردية برايس.

وقام بترجمتها من الهيروغليفية إلى الإنجليزية والفرنسية والألمانية العديد من الباحثين فى علم المصريات أمثال أدولف أرمان ، هيرمان رانكا ، هيل ، شباس ، لوث ، بروداكشن ، برستيد وآل دريد ، ثم قام بترجمتها إلى العربية باحثون مصريون فى التاريخ والآثار منهم د . سليم حسن ، د. أحمد فخرى ، د. عبد القادر حمزة ، د. أحمد كمال ، د. عبد المنعم أبو بكر ، د. محمد أنور شكرى ، د. عبد العزيز صالح ، د. أنور عكاشة ، د. سيد كريم ، وغيرهم ممن يهتمون بالتراث الفكرى لمصر القديمة.

وقد تضمنت بردية "بتاح حوتب" ثلاث وأربعين عبارة أو حكمة تصف السلوك والأخلاق وما يجب أن يكون عليه الفكر والمجتمع من قيم ومبادئ يجب أن يتحلى بها المرء ليحصل على الأمن والسعادة والاستقرار والخلود كذلك.

وأشارت البردية إلى أن هذه الحكم أعيد تسجيلها فى عصر الدولة الوسطى وسميت باسم مخطوط الحكم والنصائح واعترف كثير من أدباء وحكماء العصور القديمة بأهمية هذه التعاليم فى بناء الإنسان والمجتمع ومدى الاعتماد عليها كأساس فى بناء الحضارة وترقية السلوك الخلقى.

وقد وجدت ترجمات عديدة لهذه الحكم فى عدة مؤلفات منها :

١. مصر القديمة م٢ د. سليم حسن : ٤١٧-٤٢٣ .
٢. موسوعة تاريخ الحضارة : العصر الفرعونى "نصائح بتاح حوتب" ص٤٣٣-٤٣٥ .
٣. أدولف إرمان – "ديانة مصر القديمة" : الترجمة العربية ص١٧٨-١٧٩ .
٤. الشرق الأدنى القديم حـ١ : د. عبد العزيز صالح ص: ٣٨٠- ٣٩٠.

5. الكاتب المصرى : د. سيد كريم. ص ٩ – ٢٠ – ٣٥.
6. قدماء المصريين أول الموحدين : د. نديم السيار . ص١٤٦-١٧٠.
7. مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة (الترجمة العربية ص١٧٥)..
8. فجر الضمير : الترجمة العربية ص١٤٢.

نص حكم بتاح حوتب :

- **لا تكن متكبراً بمعرفتك ولا تثق بأنك رجـــل عـــالم.**

وفى ترجمة أخرى : لا يداخلك الغرور بسبب علمـــك ولا تتعـــالى لأنـــك رجـــل عالم فشاور الجاهل والعاقل لان نهايـــة العلـــم لا يمكـــن الوصـــول إليـــها وليـــس هناك عالم يسيطر على فنه تمامـــا.

وأن الكلام الحسن أكثر اختفاء مـــن الحجـــر الأخضـــر الكريـــم "الزمـــرد" ومـــع ذلك فإنك تجده مع الإماء اللائى على أحجـــار الطواحيـــن.

- ما أعظم الحق فإن قيمتـــه خـــالدة ، فـــإن الحـــق مثـــل الطريـــق الســـوى أمـــام الضال.

- إن ثروة المرء العظيمة هى عقله ، فمـــا أفضـــل الابـــن عندمـــا يصغـــى لأبيـــه فالابن إذا وعى لما يلقيـــه عليـــه والـــده فانـــه لـــن يخيـــب فـــى مشـــروع مـــن مشروعاته وعليك أن تعلم من يستمع إليك كأنـــه ابنـــك ، ومـــن ســـيكون ناجحـــاً فى نظر الأمراء هو من يوجـــه فهمـــه حيثمـــا يقـــال لـــه لأن أكـــثر المصـــائب تنزل بمن لا يســـتمع.

- وما أجمل أن يستمع الابن لأبيه ، فيطول عمره مـــن جـــراء ذلـــك.

إن من يسمع يظل محبوبا من الإله ولكن الذى لا يســـمع مكـــروه مـــن الله.

وفى ترجمة أخرى : إن الابـــن المســـتمع المطيـــع يحبـــه الله ، الكـــلام الطيـــب هديه من الله.

- إن الغبى هو الذى ينظر إلى العلم كما لو كان جهلا وإلى الخير كما لو كـــان شـــرا ويجلب على نفسه اللـــوم كـــل يـــوم لأنـــه يفعـــل كـــل مـــا هـــو مكـــروه مـــن الناس.

- عليك الالتزام بالحذر فـــى حضـــرة العلمـــاء ، والالـــتزام بـــآداب المـــائدة فـــى حضرة الرئيـــس.

عليك باحترام الرئيس طبقا لمـــا وصـــل إليـــه ودون النظـــر إلـــى أصلـــه قبـــل رئاسته لأن الثمرة لا تأتى عفـــواً.

عليك أن تتحلى بالصمت أمـــام الرئيـــس ولا تتكلـــم إلا بعلـــم ، وحيـــن تســـجل المعضلات لان صناعة الكلام أصعب مـــن أى حرفـــة أخـــرى.

- إذا كنت ممن يوثق بهم ويرسلهم أحد العظمـــاء إلـــى عظيـــم آخـــر فكـــن أمينـــاً جداً وبلغ الرسالة كما قالها لـــك.

- إذا أصبحت عظيما بعد أن كنت صغير القـــدر ، وصـــرت صـــاحب ثـــروة بعـــد أن كنت محتاجاً ، فلا تنسين كيف كانت حالتك فـــى الزمـــن المـــاضى.

ولا تفخر بثروتك التى آتت إليك منحة مـــن الإلـــه ، فـــإنك لســـت بـــأفضل مـــن غيرك من أقرانك الذين حل بهم ذلـــك.

وهـــذه الفقـــرة فى ترجمـــة أخـــرى :

إذا عظم شأنك بعد أن كنت قليل القدر ، وأصبحـــت غنيـــاً بعـــد أن كنـــت فقـــيراً فى البلد الذى يعرفك أهله فلا تنس كيف كـــان حـــالك فيمـــا مضـــى ، ولا تغـــتر بثروتك التى جاءتك كهبة من الإلـــه.

- سوف يرتضى الإله عملك ، إذا كنت متواضعـــاً وعاشـــرت الحكمـــاء.

- إذا أردت أن تعيش من مال الظلم أو تعتنى بـــه نـــزع الله نعمتـــه منـــك وجعلـــك فقيراً.

- بقـــدر الكد تكتسب الثروة فمن جد فى طلبهـــا نجـــح الله مســـعاه.

- لا توقع الفزع فى قلوب البشر لئلا يضربك الإلـــه بعصـــا انتقامـــه.
- إن التعرف بأعاظم الناس نفحة مـــن نفحـــات الله.
- إذا كنت عاقلاً فرب ابنك حسبما يرضـــى الإلـــه.
- إذا نلت الرفعة بعد الضعة وحزت الثروة بعد الفاقـــة فـــلا تدخـــر الأمـــوال بمنـــع الحقوق عن أهلـــها .

وفى ترجمة أخـــرى :

وليكن للناس نصيب مما تملك فهذا واجب على مـــن يكـــون صفيـــاً لله.

- فإنك أمين على نعم الله والأمين يـــؤدى أمانتـــه .

وفى ترجمة أخرى : لا تخن من ائتمنك ، والأمين مـــن يـــؤدى أمانتـــه.

- وإن جميع ما وصل إليك سينقل إلـــى غـــيرك ولا يبقـــى فيـــه لـــك إلا الذكـــر إن حسناً أو ســـيئاً.

وفى ترجمة أخرى : وليكن للناس نصيب مما تملك فهذا واجب علـــى مـــن يكـــون صفياً لله.

- ولا تكن متكبراً ولا تكونن منتفخ الأوداج ، وإذا فـــاه أخـــوك بالشـــر فأنصحـــه.
- أعلم أن بيت الزانى مآله الخراب ، وكل زان لابد أن يكون ممقوتا من الإله لأنـــه مخـــالف للشـــرائع ، ومـــن خـــالف الشـــرائع والقوانيـــن الإلهيـــة نـــال شـــر الجزاء..
- ما أراده الله يتحقق ، وأن الجهول هو مـــن يعـــترض علـــى إرادة الله.

وفى ترجمة أخرى : "بيـــد الله مصـــير كـــل حـــى" ، ولا يجـــادل فـــى هـــذا إلا جاهل..

وفى ترجمة أخرى : إن تدبير الخلق بيد الإله الـــذى يحـــب خلقـــه.

- إن الله يعز من يشاء ويذل من يشاء لان بيـــده مقـــاليد الأمـــور .

والرزق وفقا لمشيئة الله فمن العبـــث التعــرض لإرادة الله.

وفى ترجمة أخـــرى :

الرزق هو أكل العيش طبقا لتدبـــير وتقديـــر الإلـــه ، والجـــهول مـــن يعـــترض على إرادتـــه.

- **لا تكثر** من اللغو ولا تســـمعه.
- **ما على** الرسول إلا البلاغ ولكن بغـــير خلـــط.
- **وإذا حكمت** بين الناس فأسلك طريق الحـــق وطريـــق العـــدل ..
- **ساير نفسك** ما حييـــت ولكـــن لا تتجـــاوز العـــرف ، وإيـــاك أن تبـــتر ســـاعة المتعة ، فالنفس تأبى أن يفسد وقـــت متعتـــها ، ولا تســـتنفذ مـــن شـــئون اليـــوم أكثر مما يعول دارك وعندما يواتيك الثراء ينبغ أن يســـتمع القلـــب فلـــن يجـــدى الثراء إذا أهمل القلـــب.
- **لا تتشاجر** مع أى شخص عظيما كـــان أو بســـيطا فـــإن ذلـــك أمـــر كريـــه فلـــم يحدث أبدا إن عمل السوء يوصل صاحبه ســـالما إلـــى مأمنـــه.
- **إذا كنت** ممن يقصدهم الناس ليقدموا شكواهم فكـــن رحيمـــا عندمـــا تســـتمع إلـــى الشاكى ولا تعامله إلا بالحســـنى.
- **إذا كنت شخصا عاقلا** فأحبب زوجتك التى تعيـــش فـــى منزلـــك بصـــدق وأمانـــة وقدم لها أطيب الطعام وأكسها بأفضل الكساء وقـــدم لـــها أذكـــى العطـــر وأدخـــل السرور إلى قلبها طيلة حياتـــها.
- إذا وجدت خطيبا فى زمانك سليم العقل أمهر منـــك فـــأثن لـــه ذراعـــك وأحنـــى له ظهرك . أما إذا تكلم جهرا فلا تقتصرن حينئـــذ فـــى مقاومتـــه حتـــى ينـــادى به الناس : أنت إنسان جاهل ، ولكن إذا كان مماثلا لـــك فأظـــهر بصمتـــك أنـــك أفضل منه إذا أخطأ فـــى الكـــلام وعندئـــذ ســـيمدحه الســـامعون ولكـــن اســـمك سيعتبر حسنا بين العظماء . أما إذا كـــان شـــخصا حقـــيرا ليـــس نـــدا لـــك فـــلا

تغضبن عليه لأنك تعلم أنه تعس ، أحتقره وبذلك يؤنب نفسه وأنه لتبيح أن يضر الإنسان شخصا محتقرا.

- **وكن سمح الوجه مادمت حيا** ، فأن ما يخرج من الشونة لن يعود فيدخلها.
- **مهموم النفس طوال يومه** لن يصيب لنفسه فترة هنيئة ومكشوف النفس طوال يومه لن يشيد لنفسه دارا سعيدة. ومن أطاع هواه أنتهى إلى التمنى دون سواه ومن أطاع بدنه كان عدو نفسه .
- **إذا طعم بدنك والتفت وجهك إلى جيرانك (أكرمتهم)** أطراك الناس من حيث لا تدرى.

أما إذا ضل الفؤاد وأطاع جسده فأنه يكون قد أحل صغاره محل حبه وتعس عقل صاحبه وساير وجهه بما جرته عليه نفسه. ولقد عزت نفوس اتباع الإله وحده.

- **ترفق حين تسمع إلى حديث الشاكى** ، ولا تنهره حتى يفضى بما فى جوفه ويحكى ما جاء من أجله ، فالمتظلم يجب أن يؤمن السامع على قوله حتى ينهى ظلامته .

والمهموم قد يفضل أن يواسيه السامع عن أن يقضى له حاجته ومن شأن حسن الاستماع أن يريح الفؤاد.

وفى ترجمة أخرى : إذا كنت ممن يقدم لهم الشكاوى فكن شفيقا حينما تسمع كلام المتظلم ، ولا تسئ معاملته إلى أن يغسل بطنه وإلى أن يقول ما قد جاء من أجله ، وأن المتظلم يحب كثيرا أن يهز الإنسان رأسه إلى كلامه إلى أن ينتهى مما جاء من أجله ، وأن مجلسا حسنا يسر القلب.

- **الرجل من يقول اكتسبت بعملى** ، وليس الرجل من قال أتمنى لنفسى. وقد يقول إنسان لسوف أشبع هنا فإذا هو فى غده محروم من خيرات الكبار ويقول لسوف أتمنى هناك ثم ينتهى إلى ترك ثروته لمن لا يعلمه.

ذلك أنه ما تحقق تدبير للخلق . وأن مـــا أراده الإلـــه يتحقـــق. فـــإذا عزمـــت أن تحيا بالقناعة أتاك مـــا قـــدره لـــك الإلـــه بأكملـــه والـــرزق وفـــق إرادة الـــرب والجهول هو من يعترض علـــى إرادتـــه.

- **إذا كنت قائدا** وتصدر الأوامر للجمع الغفـــير فأســـع وراء كـــل كمـــال حتـــى لا يكون نقص فى طبيعتـــك .

- **إن الصدق** جميل وقيمته خـــالدة وإنـــه لـــم يـــتزحزح منـــذ يـــوم خلقـــه والـــذى يتخطى نواميسه يعاقب ، وهو أمام الضـــال كـــالطريق المســـتقيم.

- **إن الخطأ** لم يقد مقترفه إلـــى الشـــاطيء.

حقيقة أن الشر يكسب الثروة ولكـــن قـــوة الصـــدق فـــى أنـــه يمكـــث والرجـــل المستقيم يقول أنه متاع والـــدى.

- **إذا كنت** تبحث عن أخلاق من تريد مصاحبته فـــلا تســـألنه ولكـــن أقـــترب منـــه وكن معه منفردا ، وأمتحن قلبه بالمحادثة ، فـــإذا أفشـــى شـــيئا رآه وآتـــى أمـــرا يجعلك تخجل منه وقتئذ أحذر حتى فـــى أن تجاوبـــه .

- **أشبع لأصدقائك** بما جد لك كإنسان نـــال الحظـــوة عنـــد الإلـــه ومـــن الحـــزم أن تفعل ذلك إذ ليس هناك إنسان يعرف مصيره إذا فكـــر فـــى الغـــد فـــإذا أصـــابت المقربين مصيبة فإن الأصدقـــاء هـــم الذيـــن لا يفتـــأون يقولـــون مرحبـــا لـــه ، فعليك أن تستبقى ودهم لوقت السخط الذى يـــهدد الإنســـان .

- **إذا أردت** أن تحافظ على الصداقة فـــى بيـــت تدخلـــه ســـيدا أو أخـــا أو صاحبـــا فأحذر القرب من النساء ، فأن المكان الذى هن فيـــه ليـــس بالحســـن ومـــن أجـــل هذا يذهب الرجل إلى الـــهلاك .. إذ أن ألـــف رجـــل قـــد يذهـــب بســـبب متعـــة برهة قصيرة تضيع كالحلم ولا يجنى الإنسان من معرفتـــهم غـــير المـــوت.

- **إذا تزوجت امرأة** فلا تعنفها بل دعها منشرحة الصدر أكثر مـــن نســـاء بلدهـــا.

وفى ترجمة أخرى : إذا أصبحت كفئـــا كـــون أســـرتك وأحبـــب زوجتـــك فـــى حدود العرف أو عاملها بما تستحق ، وأشـــبع جوفـــها وأســـتر ظـــهرها وعطـــر

بشرتها بالدهن العطر فالدهن باق فـــى بدنـــها. وأســـعدها مـــا حييـــت ، فـــالمرأة حقل نافع إلى آمرها "ولى أمرهـــــا" .

- **ولا تتهمها عن سؤ ظن** وامتدحها تخبت شرها . فــــإذا نفــرت راقبـــها وأســـتمل قلبها بعطاياك تستقر فى دارك وسوف يكيدها أن تعاشرها ضــــرة فـــى دارهـــا

- **أحذر مخالطة النساء فما طاب مكان حللـــن فيـــه.**

ومن سوء الرأى أن يتلصص عليـــهن إنســـان .

وكم من امرئ ضل عن رشاده حين استهواه جسد بــراق ثـــم تحـــول عنـــه إلـــى هباء ، وأصبحت فترات متعتـــه القصـــار أضغـــاث أحـــلام وأفضـــت بـــه إلـــى الهلاك

- **ينساق الفتى إلى الإثم والنهى** ينـــــهاه ألا تفعـــل الإثـــم ، فـــالإثم عـــار ، وأربـــأ بنفسك عن وخز الضمير كل نـــــهار .

- **عزة النفس هى** أن تزكو سمعتك بغير أن تتكلـــــم ويطريـــك النـــاس مـــن حيـــث لا تعلم. لقد عزت نفوس اتباع الإلـــه وحـــده .

- **لينطق قلمك** بالحق ولا يخط إلا الصدق بما يفيد النـــــاس ويرضـــى الإلـــه .

- **إن صوت** القلم هو أعلى الأصوات لأنـــه صـــوت الحـــق .

- **إن الكتابة** حاسة مقدسة يهبها الإلـــه للكاتب لترفعـــه فـــوق النـــاس فـــيرى مـــالا يرون ويسمع مالا يســـــمعون .

- **إن صوت** الناس يفنى ولكن صوت الكاتب يعيـــش أبـــد الدهـــر .

- **إذا كنت** رجلا ذا مكانة فأسس لنفسك بيتـــا وأحبـــب زوجتـــك فـــى البيـــت كمـــا يجب وعليك أن تملأ بطنها وتستر ظـــهرها ، وتوفـــر العطـــور التـــى هـــى دواء أعضائها وأشرح قلبها طالما عاشت فأنها حقـــل مثمـــر لربـــها (الزوجـــها) وفـــى ترجمة أخرى لســـيدها.

- أحسن العمل مع أهلك كما يناسب ، لأن هذا فعــل يفضلــه الإلــه. ومــن قصــر فى حسن العمل مع أهله يقال عنه إنه رجــل ملعــون .

- لا تكن سيئ الخلق مع جيرانك ، والصفح عن السفيه خــير مــن القســوة ، فــأن أخطأ الزعلان فى حق جيرانه لا يدرك كيــف يوجــه كلامــه وبــدل أن تكــون الإساءة قليلة سينشأ عنها الكدر مكــان الصفــو .

- إذا غضبت ولا دواء لذلك ، أو كنت معنفا من قبــل أحــد فصــد عنــه بوجــهك ولا تفكر فيه متى كف الكلام عنك ، وكن باش الوجــه مــادمت حيــا .

- اتبع لبك ... عقلك وقلبك "مادمت حيا" ، ولا تفعلــن أكــثر ممــا قيــل لــك ، ولا تنقص من الوقت الذى تتبع فيــه قلبــك ، ولا تشــغلن نفســك يوميــا بغــير مــا يتطلبه بيتك ، وعندما يواتيك الثراء متــع نفســك لأن الــثراء لا تتــم فائدتــه إذا كان صاحبه معذبــا.

  وفى ترجمة أخرى : ساير نفسك ما حييت ولكــن لا تتجــاوز العــرف .

- إذا أردت أن تكون خلقك محمــودا وأن تحــرر نفســك ممــا هــو قبيــح فــأحذر الشراهة فأنها مرض مملــوء بــالداء ولا يشــفى ، والصداقــة معــها مســتحيلة فأنها تجعل الصديق العذب مرا وتقصى ذا الثقة عــن ســيده وتجعــل كــلا مــن الأب والأم قبيحاً وكذلك الأخوال وتفصل الــزوج عــن زوجتــه ، وهــى حزمــة من كل أنواع الشر ، وحقيبة من كــل شــىء مــرذول وأن الرجــل الــذى يتبــع طريقة حقه فى سلوكه ويسير على الصــراط الســوى يعيــش طويــلا ويكســب الغنى بذلك ولكن الشره لا قبر لــه.

- ولا تكونن شرهاً فى القسمة ، ولا تكونن ملحاً إلا فى حقك ولا تطمعن فــى مــال أقاربك ، فأن القليل الــذى أختلــس منــه يولــد العــداوة حتــى عنــد صــاحب الطبع اللين .

وفى ختام الحكم والنصائح يقول بتـاح حوتـب :

- إذا سمعت هذه النصائح التـى ذكرتـها لـك فـأن حكمتـك تصـير فـى تقـدم حقيقى ، ومهما تكن فأنها الواسطة للوصـول إلـى الخـير ، وهـذا هـو الـذى جعلها ذات قيمة وجعل إدراكها يبعد عـن لغـط النـاس ، ومـا أحسـن ترتيبـها فى كل مجال ذكرت فيه من غير تغيير يدخلها فـى هـذه الدنيـا أبـد الأبديـن ، فهى النسيج الذى يصنع للتحسين وبه يتكلـم الإنسـان فيتعلـم أسـلوب الكـلام إذ بعد فهمها يصير (أسـتاذا). والـذى يكـون لـه اسـتعداد لسـماع هـذا الكـلام ويصغى إليه ينال النجاح الذى يبلغ بـه الدرجـة الرفيعـة ويضمـن لـه الكمـال السرمدى فلا شيء يهوله أبدا إذ بالعلوم تكون إدارتـه ثابتـة ويكـون بـها فـى الدنيا سـعيدا.

فالعالم شبعان بمعرفته ، كبير بفضله ، لسانه طـوع عقلـه ، وشـفتاه صادقتـان متى تكلم ، وعيناه متى نظرتا وأذناه متـى سـمعتا ويكـون فـائدة لابنـه فيفعـل الصواب بدون خطـأ .

- والفضل فى هذه النصائح التى ألقيتهـا عليـك يرجـع للأجـداد ، لأن نصائحـهم جديرة بـالتقدير

إبيوور EBI YOOR
2420 - 2300 ق.م

الحكيم "إبيـــوور" من أشهر كتاب الحكمة فى الأســـرة السادســـة التـــى تمثـــل فى بعض مراحلها عصر الانهيار والثورة الشـــعبية ونهايـــة الدولـــة المصريـــة القديمـــة والتى وجد بها بعض الملوك الضعاف مثل الملك تيتـــى وبيبـــى الأول وبيبـــى الثـــانى

وقد واكب مظاهر عدم الاستقرار والانحـــلال والفقـــر ثـــورة فكريـــة ودعـــوات إصلاحية ، فظهرت أصـــوات وأفكـــار ترفـــض الجمـــود والضعـــف والتخلـــف وتدعـــو الملوك والرعية على سواء إلى التمسك بالفضائل والتطلـــع للمثـــل والقيـــام بـــدور فعـــال فى إصلاح شئون البلاد. وكان من أشـــهر هـــؤلاء الدعـــاة للثـــورة الفكريـــة فـــى هـــذه الفترة الحكيم "ونـــــى" ثم "إبيـــوور" وانتـــهت بـــالحكيم "آنـــــى" .

كان مثال العدل محور فلسفة "إبيـــوور" السياســـية والاجتماعيـــة وكـــان حســـن النظام وصحوة الضمير غاية الحكمة عنده ، وقد عبرت كلماتـــه عـــن ذلـــك حيـــن قـــال: **"حقا لا تزال العدالة باقية فى الأرض باسمها ، ولكن المؤســـف حقـــا هـــو الخطـــأ فـــى تطبيقهم لـــها".**

ويمكن تصنيف "إبيـــوور" كفيلسوف سياســـــى لأنـــه اهتـــم بمـــا يجـــب أن يكـــون عليه الحكم وحدد صفات الملك النـــاجح ومـــدى مســـئولياته ورعايتـــه واعتـــبر الحكمـــة السياسية موقف وفكر ورؤيـــة إصلاحيـــة شـــاملة ، وأنـــه اســـتطاع أن يقـــدم تعليـــلات مقنعة لأسباب الثورة والفقر وانهيار الدولة ، ووضـــــع منـــهجا إصلاحيـــاً متكـــاملاً يبـــدأ بالشعب وينتهى بالحاكم ، وينبه إلـــى أهميـــة تطبيـــق العدالـــة وخطـــورة التخلـــى عـــن الضمير والأخلاق والعـــدل.

ومن هنا كان "إبيـــوور" هو الفيلسوف الشـــجاع الـــذى اســـتطاع مواجهـــة الملـــك وطالبه بتحمـــل مســـئولياته وإصـــلاح المفاسـد وإنقـــاذ الأمـــة مـــن حالـــة الضعـــف والانحلال ، وإن ذلك لا يكون إلا بـــالعمل والإيمـــان بأهميـــة العـــدل والخـــير والنظـــام وخطورة الظلم والشر والعـــدوان.

عرف الحكيم "إيبوور" بشجاعة الرأى فى مجال السياسة والرواية والأدب والحكمة حتى لقب بفيلسوف الثورة الشعبية والمصلح العجوز وقائد ثورة الشعب التى اندلعت فى عهد الملك "بيبى الثانى" فى أواخر القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد ، وهذه الألقاب تعكس الدور الإيجابى الذى مارسه "إيبوور" فى حياة مجتمعة ، فرغم إنه كان ينتمى إلى الطبقة الأرستقراطية فقد شارك الفقراء مشاعرهم ومطالبهم ولم يقف موقف المتفرج أو المحايد من أحداث الظلم والفوضى وما ارتكبه بعض الحكام والأمراء من أخطاء أدت إلى انهيار الدولة وضعفها.

وتوجه "إيبوور" إلى الملك "بيبى الثانى" بعدة نصائح يحثه فيها على العمل بالعدل والتزام جانب الحزم فى تطبيقه ووصف حقيقة الأوضاع الاجتماعية وما آلت إليه من تدهور وضعف ، وسجل فى نصائحه ما يجب أن يكون عليه الحاكم المثالى الملتزم بالقانون والعدل ، كما سجل موقفه الرافض للفوضى والجمود والظلم وما يجب على الحاكم والرعية تجاه الأوضاع السياسية والاجتماعية الفاسدة .

وحرص "إيبوور" على وصف سلبيات الثورة الشعبية وإيجابياتها فكان من سلبياتها الاندفاع الغير محسوب والاعتداء على الأثرياء وانتهاك حرمات المقابر ونهبها وتفشى الجهل والفقر والمرض.

أما إيجابيتها فتمثلت فى الموقف الرافض المتدهور والبحث عن ما يجب أن يكون وأنها استثارت نوعا من الوعى القومى لدى المفكرين والمصلحين ليقوموا بدورهم فى توعية الشعب إلى مخاطر الظلم والعدوان وجزاء من يفعل الشر فى الدنيا والآخرة كما نبهت الحكام والوزراء إلى أخطائهم وعيوبهم وما يمكن أن تؤول إليه الحياة الاجتماعية من ضعف وانهيار [1].

---

[1] راجع : بردية ليدن "متحف ليدن رقم ٣٤٤" والتى سجلت فى عصر الدولة الوسطى وأعيد تسجيلها فى عصر الدولة المصرية الحديثة.

أقام "إيبوور" منهجه الإصلاحي على مبدأ العدالة والقانون ، وحدد خطوات الإصلاح والطريق العملي للتطبيق والبناء ، وكشف عن الأسباب والعوامل التى أدت إلى الثورة والفوضى والانهيار.

- كانت الخطوة الأولى للإصلاح عند "إيبوور" أن يقوم أصحاب الفكر والرأى من المصلحين والكتاب والكهان بدورهم تجاه الحكام والشعب فيبصرونهم بالعلل والأخطاء ، وقيمة العمل من أجل الحياة والمستقبل وأن يبينوا لهم الطريق لما ينبغى أن يكون . وكيف يكون الحكم مثالياً ، وكيف يكون الحاكم صالحاً ، وأن يواجهوا الحكام بعيوبهم . وأن يدعوهم إلى إعادة النظر فى العقائد والأفكار والعادات فالتجديد والتغير ضرورة لازمة ، والمواجهة بالحقيقة صعبة ، ولكن الإصرار على الإصلاح والتغيير مسئولية جماعية ، ولا يتحقق الوعى ولا تستيقظ الضمائر إلا بعمل رجال الفكر وأصحاب الرأى.

وهذا ما عبر عنه "إيبوور" حين قال : وما أشق ذلك على نفسى وعلى الكثيرين فلا بد أن أرفع صوتى ليلبى الإله النداء وينقذنى من ذلك العذاب الذى أعانيه.

وذلك فى إشارة إلى المهمة الصعبة التى تقع على كاهل أصحاب الرأى والفكر.

- وكانت الخطوة الثانية فى سبيل الإصلاح والتغيير ، خطوة لازمة للتطبيق الفعلى ، وذلك بالحفاظ على الإمكانيات والموارد وتنميتها ، وأن ذلك لا يتم إلا فى إطار القوانين العادلة التى يحترمها الجميع ويلتزم بها كلا من الحاكم والمحكوم لأن ذلك فى رأيه السبيل لإصلاح كل فاسد.

وفى هذه الخطوة يقوم الإصلاح الاجتماعى على تصحيح الوضع الاقتصادى وترشيد الموارد وحسن استخدامها والمحافظة عليها ، وهذا ما عبرت عنه كلمات "إيبوور" فى وضوح فقال : اصبحت الدولة فى طريقها إلى أن

تصب الماء لغيرها ومن أضاع الماء - أى الإمكانات والموارد يكون شل الذراع الفتية واحتجزها فى الأغلال.

وذلك فى إشارة إلى مسئولية الدولة فى الحفاظ على الموارد الاقتصادية وترشيدها وحسن استغلالها وفقا لمبدأ العدل والنظام.

- وكانت الخطوة الثالثة فى منهج "إيبوور" الإصلاحى ، هى تحقيق المثل والقيم التى تؤكد هيبة الدولة وتقضى على إهمال الحكام والولاة وأن ذلك لا يتحقق إلا بالعلم والتعليم وسيادة القوانين وانتشار العدالة وحسن تطبيقها والالتزام بها ، وهذا ما عبرت عنه حكمة "إيبوور" حين قال : "حقا لا تزال العدالة باقية فى الأرض باسمها ولكن المؤسف حقاً هو الخطأ فى تطبيقهم لها".
- وكانت الخطوة الرابعة هى بيان العلة فى خطأ تطبيق العدل ، وهى عند "إيبوور" علة اجتماعية لأن الهوة القائمة بين الحاكم والمحكوم تحول بين معرفة الحاكم بما يجرى من أمور وما يقع من أعمال سلب ونهب وتخريب ، وتؤدى أيضاً إلى زيادة الفوارق الطبقية وانتشار الفوضى والصراع بين طبقات المجتمع.

والحقيقة التى يشير إليها "إيبوور" هى أن الحاكم والمحكوم كلاهما مسئول عن الدولة والنظام ومسئول عن الضعف والانهيار ومن ثم فاليقظة والعلم والتواصل بين الحاكم والرعية كلها أمور لازمة لنجاح الحكم وإصلاح المجتمع.

وهذا ما عبرت عنه حكمة "إيبوور" حين قال : "عظماء البلاد لا تبلغهم أمور البلاد والكل آل إلى الدمار".

- وكانت الخطوة الخامسة هى ضرورة توافر صفات الحكمة والعدل والشجاعة والحلم فى الحاكم ليكون حكمه مثالياً ورعيته صالحة.

وهذا ما عبرت عنه حكمة "إيبوور" ونصائحه التى وجهها للملك "بيبى الثانى" ورسم فيها صورة للحاكم المثالى وصفاته المطلوبة وليؤكد على

أهمية يقظة الحاكم ووزرائه وحاشيته وانتباههم إلى مواطن الضعف والقوة وإدراك العلل الحقيقية وراء الظواهر الاجتماعية السلبية وإدراكهم لواقع الأمة.

ومن أجل ذلك توجه "إيبوور" بالنصيحة والبيان للملك "بيبى الثانى" فقال له : "لديك الوحى والبصيرة وأسباب العدالة ولكنك بعثت الفوضى فى البلاد مع أهل الفتنة ولكى تكون حاكما ناجحا وصالحا فإليك صورة الحاكم المثالى المطلوب إنه الحاكم الذى يعمل للبناء ولا يفرق بين جرىء وهياب ، إنه الرجل الذى يستطيع إن يحيل اللهب بردا وسلاما ويمكن أن يعتبره قومه راعيا للناس أجمعين .. إنه الرجل الذى ليس فى قلبه ضغينة وإذا تفرقت رعيته قضى يومه يجمعها."[1].

إن هذه الكلمات تؤكد على معرفة "إيبوور" بالحكمة والفلسفة كما تؤكد إدراكه لأهمية الحاكم ودوره وخاصة الحاكم الفيلسوف بوصفه الحاكم المثالى الذى تتوفر فيه صفات الشجاعة والحكمة والتواضع والعدل والرحمة ، فتلك الصفات تقربه من رعيته وتعينه على تطبيق النظام والعدل وإصلاح المجتمع وبقائه.

كما تؤكد أن حكمة "إيبوور" السياسية والاجتماعية تتميز بالثراء والواقعية ، وهى فى نفس الوقت دليل على تنوع وثراء النشاط الفكرى لحكماء مصر الأوائل وشمول معرفتهم وصدق حكمتهم مع القابلية للتطبيق ... وهذا ما ظهر بوضوح من خلال الخطوات الخمس التى حددها "إيبوور" فى منهجه الإصلاحى.

---

(١) راجع : د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم جـ ١ - ص١٥٦-١٥٧ ، ص٣٩١-٣٩٤.

آنى AANI

2280 - 2242 ق.م

نشأ الحكيم "آنـى" فى منتصف القرن الثـانى والعشـرين قبـل الميـلاد حيـث بداية الدولة الوسطى فى مصر القديمة الذى بـدأ فـى نهايـة عصـر الأسـرة السادسـة وكان "آنـى" آخر حكماء هـذه الأسـرة.

وانتشرت حكمه عبر الصور لأنـها جمعـت خلاصـة الفكـر المصـرى فـى مجال الدين والعلم والأخلاق ، وكانت مرشداً للمفكرين والعـوام علـى سـواء[1].

وكان الحكيم "آنـى" نموذجـاً للمفكـر المصـرى العاشـق للحكمـة المشـارك بفكره فى عملية الإصلاح الاجتماعى وتهدئة الأوضـاع الثـائرة ووقـف حالـة التدهـور والفوضى التى سادت البلاد فى عصره ، فسـاهم عمليـاً فـى يقظـة الوعـى الشـعبى واستخدام حكمتـه فـى بنـاء منـهج إصلاحـى متكـامل وفـق الأعـراف المصريـة المتوارثة القائمة على مبادئ الدين والأخلاق وحكـم الصـالحين ومواعـظ السـابقين.

واستخدم "آنى" أسـلوب القصـة والأسـطورة ووصـف رحلـة الـروح إلـى السماء وكيف يكون الحساب والجـزاء فـى محكمـة الآخـرة ، وهـو وصـف يجعلنـا نصنف "آنـى" فى مقدمـة فلاسـفة الميتافيزيقـا الأوائـل الذيـن اسـتخدموا الخيـال

---

[1] ذكرت بعض المراجع التاريخية أن الحكيم "آنـى" كان أحد رجال البلاط لأحد ملوك الأسـرة الثامنة ، ورأت الأخرى إنه ظهر فى بداية الدولة الحديثة حوالى القرن الخامس عشـر قبـل الميلاد وإنه كتب نصائحه لولده ليرشده إلى مقومات السعادة فى الأسرة والحياة. وهـذه الآراء جانبها الصواب لأنها اعتمدت على وقت إعادة تسجيل هذه الحكم فى القرن ال١٥ ق.م. حيـن ظهرت نزعة الاهتمام بتسجيل التراث المصرى والصحيح أن هذه الحكم ظهرت فـى زمـن الأسرة السادسة وأشهر ملوكها الأربعـة الملـك "تيتـى" و"بيبـى الأول" و"بيبـى الثـانى" و"تيوتكريس" ، وكان بها العديد من الحكماء مثل "ونـى" و"إيبـوور" و"آنـى".

والأسطورة وقدموا الأدلة العقلية على وجود الروح وخلودها. والأدلة العقلية على وحدانية الإله وصفاته وعلاقة الإله بالكون والإنسان فاتسمت رؤيته بالصيغة الميتافيزيقية لعالم الآخرة بوصفه عالم البعث والحساب والخلود ، وليؤكد على علاقة الاتصال الوثيقة بين عالم المادة وعالم الروح وبين العمل فى الدنيا والخلود فى الآخرة.

أولا - الحكمة والكتابة عند "آنى" :

أكد "آنى" حقيقة السمة الشمولية للحكمة المصرية القديمة التى كانت وليدة الجهد العقلى المتواصل وتضافر الفكر الشعبى بأكمله فلم تكن الحكمة المصرية وليدة جهد فردى أو بعض الأفراد من الحكماء الذين أحبوا هذه الحكمة بل كانت جهدا جماعيا لشعب يعشق الحكمة ويؤمن بالحياة والخلود ، فكان كثيرون يجيدون التعبير بالكتابة والنقش وممارسة الفن والبناء والتصوير وكانوا جميعا يؤمنون بالإله الواحد وأهمية الحياة والتاريخ والعدالة .

وفى عصر الحكيم "آنى" تدرجت الحكمة واكتمل ظهورها وظهرت طبقات معروفة من الحكماء وأصبحت الحكمة عندهم وظيفة وأمل يحرص عليه كل فرد وكل مسئول من اجل ذلك كان حرص الحكيم "آنى" كمفكر وراع أن يعبر عن هذه الأمانى فيتمنى لابنه ولشعبه الحكمة كعمل ومشاركة وليس مجرد فكر نظرى أو تأمل عقلى.

- كانت الحكمة عند "آنى" ممارسة عملية لوظيفة سامية هى الكتابة ، وكانت هى التعبير الصادق بالرأى ، وكانت أيضا هى هبة إلهية ومنحة عظيمة يهبها الإله لمن يسعى إليها ويخلص فى أدائها .
- وكانت الحكمة عنده فى السعى لتحصيل المعارف والعلوم والالتزام بالعرف والعدل وأحكام الدين ولم تكن وحيا أو إلهاما إلهيا فقط بل كانت قيمة سامية وممارسة عملية وسعى لتحقيق المكانة والسمعة الطيبة والخلود فى عالم البقاء. وهذه المعانى قد عبر عنها "آنى" حين قال لابنه : "فلتكن

أمنيتك أن تصبح كاتباً فالكتاب أعظم رزقـاً يسـعى إليـها وأعظـم هبـة يهبـها الإله لمن يسعى إليـها".

"إن الكتاب أعظم قيمة مـن مسـكن الحيـاة حيـث تشـرق الشـمس ، وأبقـى خلودا من مقبرة حيث تغرب الشـمس".

" يا بنى هل بيننا من يضارع أوفرا ؟ هل بينكم من يتسـاوى مـع أمحوتـب"؟

- "يا بنى هل فى عصرنا من هو مثـل نفـرى آختـى أو بتـاح حوتـى وكـاخبر" وهم أعظم العظماء الذين تتطلـع إليـهم الأنظـار وتنخفـض أمامـهم الـرؤوس. يا بنى هل بينكم من يقول إنه مثـل بتـاح حوتـب أو كـاتريس. وهكـذا أراد آنى أن يحفز ابنـه وشـباب عصـره علـى تحصيـل الحكمـة بإعطـاء أمثلـة لعظماء الحكمة فى العصور التى سبقته بوصفـهم القـدوة والمثـل.

وأكد "آنـى" أن الحكمة ليست مجرد صفة أو وظيفـة عاديـة بـل هـى أعلـى الألقاب العلمية ودرجات السلم الوظيفى ، فالحكمـة درجـة يتـم الحصـول عليـها مـن بيت الحياة أو بيت الحكمة المقدسة الذى كان فـى الغـالب يلحـق بـالمعبد الكبـير فـى عاصمة مصر كما كان معبد "أون" [عين شمس] الـذى كـان بمثابـة أكاديميـة لمختلـف العلوم والفنون. ، وكان "آنـى" يتمنى حصول ابنـه علـى تلـك الدرجـة العلميـة مـن الحكمة لأنها أغلى الأمانى وأعظم الهبات الإلهية وأعلـى درجـات الحكمـة.

فالدرجة الأولى من الحكمة تسمى علم أسـرار الوجـود وهـى أعلـى مراتـب العلوم ويعمل بها كتـاب الحكمـة المقدسـة مـن الفلاسـفة الذيـن يمارسـون وظيفـة التأليف والتعبير ويتحملون مسئوليات عامة فـى التوجيـه والنصـح للحكـام والـوزراء وعموم أفراد الشـعب.

أما الدرجة الثانية من الحكمة تتـألف مـن كتـاب الوحـى مـن الكهنـة الذيـن يتولون مهمة تسجيل وتعليم الفنون وتدوين المشـاريع الدينيـة والوثـائق التاريخيـة .

ويأتى فـى الدرجـة الثالثـة مـن الحكمـاء كتـاب الأدب الاجتمـاعى الذيـن يتولون مهمة تسـجيل أهـم الأحـداث والقصـص والأسـاطير والأخبـار الاجتماعيـة العامـة.

ويأتى فى الدرجة الرابعة كتاب الشعر والأغانى الذين يجمعون فى وظيفتهم بين التعليم والأداء ، فيكتبون الشعر ويعزفون على الآلات ويقدمون الألحان المناسبة لمختلف المناسبات والأغانى .

ويأتى فى الدرجة الخامسة من الحكماء الكتبة العموميون أو الشعبيون الذين يعملون فى الوظائف الحكومية والخدمات المحلية أو الشعبية وهؤلاء تقتصر ثقافتهم ووظيفتهم على مجرد التسجيل أو تدوين السجلات اليومية وحفظ المستندات والوثائق[1].

ويلتقى مفهوم الحكمة عند آنى مع المفهوم العام لها بمعنى الالتزام بما ينبغى أن يكون والسعى لحصول الكمال بالعلم والتعليم ، وبوصفها غاية سامية وقيمة عليا يسعى لتحصيلها كل صاحب فكر أو رأى وكل مسئول بل كل أب.

وحول هذا المعنى يلتقى كتاب الحكمة .. ومثال ذلك العديد من النصائح التى كان يحرص الأمراء والملوك والحكماء أن يوجهوها إلى أبنائهم أو رعيتهم.

فهذا "سنب حوتب" الحكيم يحث ابنه على تعلم الكتابة لأنها الطريق لتحصيل الحكمة والترقى فى سلم الحياة الاجتماعية فيقول له :

"يا بنى تعلم كيف تحرك أصابعك القلم وكيف يحرك عقلك أصابعك .. فلا يخط قلمك إلا الحكمة والمعرفة وما ينفع الناس".

"يا بنى إن ما يخطه قلمك سيعيش فى قلوب الناس وعقولهم فلا يمتد إليه يد العبث والتخريب".

وهذا حكيم آخر هو "آمون من" يحث ابنه وباقى الشباب إلى التعلم وتحصيل الحكمة فيقول له : "كن كاتبا -- أى حكيما متعلما - حتى يريح عقلك إجهاد جسمك ، وكن كاتبا لتصير سيد نفسك".

---

[1] الكاتب المصرى – الدكتور سيد كريم – ص ١٧ – ٢١.

وكن كاتباً لتنعم عليك الآلهـة بحاسـة جديـدة مقدسـة تضـاف إلـى حواسـك الخمس ، حاسة تميزك عن الآخرين فترى مالا يـراه الآخـرون وتسـمع مـالا يسـمعه الآخـوون.

"يا بنى بالحكمة سترى وتسمع بعقلك وقلبك عـالم مـا وراء الطبيعـة....

سـتتمتع بشـهوات عقلـك وتسـعد قلبـك ، ومـن كـان قلبـه سـعيداً أسـعد الآخريـن[1].

ثانيا :- الحكمة والديـن :

هناك إجماع على أن الفكر المصـرى فـى مختلـف صـوره وعصـوره هـو فكر دينى مصدره الوحى وما جاء بـه الأنبيـاء والرسـل ومـا سـجله الحكمـاء مـن آداب وفنون ومعارف وما رسخ فى الوجدان مـن تقـاليد وأعـراف ، ومـن ثـم كـان التشابه الكبير بين ما جاء على لسان "آنـى" فى حكمـه وبيـن مـا جـاء فـى القـرآن الكريم على لسان الأنبياء والرسل وما جاء علـى لسـان الحكيـم لقمـان فـى مواعظـه الأخلاقية وما أورده "آنـى" من تصورات حـول الألوهيـة والبعـث والحسـاب وعـالم الأخرة .

ولذا رأينا العديد من الباحثين يعقدون المقارنـات بيـن حكـم لقمـان ومـا جـاء به الحكيم آنى من قبل لإثبات أن حكمة "آنـى" الدينيـة قائمـة علـى التنزيـه والتوحيـد وأن مواعظه الخلقية مصدرها تعاليم الأديـان السـماوية .

١. ففى وجوب عبادة الإله الواحد المنزه عـن الشـريك والجسـمية فـان مـا أورده "آنـى" يعكـس مـدى فهمـه لحقيقـة الألوهيـة وتصـوره للإلـه القـادر الرحيـم والخالق العظيم ، ويدل على ذلـك قولـه :

---

[1] الكاتب المصرى – د.سيد كريم – ص١١ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٧ .

"لا تسأل عن صورة ربك .. وقولـــه : لا تبحـث أسـرار ملكـوت ربـك فـهى فوق مدارك العقول .. وقوله : خاف مـن الإلـه وأتقـى غضبـه ولا تفعـل مـا يكرهه ربك وأحفظ وصاياه وإرشاداته فإنه يرفـع مـن يمجـده .

وقوله : "دع عينك تعرف قيمة ربـك واحـترم اسـمه لأنـه هـو الـذى يعطـى القوة لملايين المخلوقـات".

وإذا ما قورنت هذه الأقوال مع ما جـاء فـى القـرآن الكريـم مـن آيـات دالـة على وحدانية الله المنزه فترى توافق قـول "آنـى" : "لا تسـأل صـورة ربـك مع قول الحق سـبحانه ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار﴾[الأنعام ١٠٣]

وقول "آنـى" : لا تسأل عن صورة ربك – وأحتفـى بـأ لوك وأذكـره فـان الله يغضب على من يستخف به. وقرب قربـانك لله شـكراً

دليل قوى على إيمـان المصـرى القديـم بالإلـه الواحـد الـذى يتعبـدون لـه ويشكروه وأن قول "آنـى" هذا يتوافق مع بما جـاء بـالقرآن الكريـم فـى قولـه تعـالى : ﴿ليس كمثله شىء وهو السميع البصير﴾[الشورى ١١]

وقوله تعـالى : ﴿فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون﴾[البقرة ١٥٢]

٢. فى وجوب التوجه بالعبادة والصـلاة لله فـى خشـوع وصمـت لأن الله الواحـد سميع وبصير .. فيقول "آنـى" : إذا صليت لله فـلا تجـهر بصلاتـك.

ويقول : "أدع بقلب محب ولا تجهر بصوتـك يسـتجيب الإلـه لدعـائك ويسـمع ما تقول ويتقبل قربـانك".

وهذا موافـق لمـا جـاء فـى القـرآن الكريـم فـى قولـه تعـالى : ﴿ولا تجهر بصلاتك﴾[الإسـراء ٣٧-٣٨]

٣. فى وجوب التوجه بالعبـادة لله القـادر العظيـم والعـادل الرحيـم ، لأن الله هـو الفاعل على الحقيقة وهو الذى يجعل من يشاء عظيمـاً. وهـو الـذى يحقـق العـدل

ويرفع المظالم ويستجيب للدعاء ، وهو وحده الكفيل بإظهار الحق وإزهاق الباطل.

ويؤكد هذه المعانى الحكيم "آنى" حين يقول : كن شهما شجاعا فإن الجبان لا يستفيد من الحياة غير ما وهب الله له. ولا تمش الخيلاء فان الله هو الذى يجعل من شاء عظيما.. ومن أتهم زورا فليرفع مظلمته إلى الله فان الله هو الكفيل بإظهار الحق وإزهاق الباطل" .

ويقول "آنى" أيضا : أخلص إلى الله فى أعمالك لتتقرب إليه وتبرهن على صدق عبوديتك حتى تنالك رحمته وتلحظك كفايته.

وفى القرآن الكريم تتردد تلك المعانى فى قوله تعالى : ﴿ليحق الحق ويبطل الباطل﴾[الأنفال ٨]

وفى قوله تعالى : ﴿ويمح الله الباطل ويحق الحق﴾[الشورى ٢٤]

٤. وفى وجوب حسن الخلق وبر الوالدين يقول "آنى" : لا تغضب أمك لئلا ترفع يديها إلى الله فيستجيب دعائها ، وأجعل نصب عينيك كيف حملتك أمك وأرضعتك وكيف ربتك".

وهذا يتوافق مع ما جاء بالقرآن الكريم على لسان لقمان الحكيم فى قوله :

﴿ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين﴾[لقمان ١٣، ١٤]

٥. وفى وجوب التواضع وعدم الغرور والتكبر يقول "آنى" : ولا تمش الخيلاء فان الله هو الذى يجعل من يشاء عظيما.

وهذا موافق لما جاء بالقرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿ولا تمش فى الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا﴾[الإسراء ٣٧-٣٨]

ومع قوله تعالى : ﴿إن الله لا يحب كل مختال فخور﴾[الحديد ٢٣]

وقوله تعالى : ﴿إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا﴾[النساء ٣٦]

٦. وفى وجوب البعد عن الشرور والمفاسد كشرب الخمر والزنا يقول "آنى" فى حكمه : "لا تتردد على محال الخمور احتراسا من عواقبها الوخيمة لأن لشارب الخمر فلتات يستفظع صدورها من نفسه متى أفاق" .

وهو دائما مبتذل محتقر عند الناس وحتى بين إخوانه الذين يشاركونه غروره وشروره . وهذا القول متوافق لما جاء فى القرآن الكريم من تحريم للخمر ووجوب البعد عنها فى قوله تعالى : ﴿إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه ، إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر﴾[المائدة ٩٠-٩١].

٧. وفى وجوب البعد عن جميع المفاسد الخلقية وفى مقدمتها الزنا يقول الحكيم "آنى" "إياك أن تميل إلى امرأة فتلعب بدينك وشرفك ، ولا تحدث غيرك بشأنها فأنها كالماء العميق الذى لا يعرف له قرار ، فأن الشهوات طريق الموبقات. وإن الزنا لجرم عظيم.. وهذا متوافق مع ما جاء فى القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا﴾[الإسراء ٣٢].

٨. وفى وجوب اتباع آداب الاجتماع الإنسانى من آداب الزيارة والاستئذان وغض البصر والالتزام بالاحترام يؤكد الحكيم "آنى" أن الزيارة لابد أن تبدأ بالاستئذان فيقول : لا تذهب إلى بيت إنسان بحرية بل أدخله فقط عندما يؤذن لك.

وهذا يتوافق مع قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين أمنو لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا﴾[النور ٢٧].

وفى وجوب غض البصر عند الزيارة يقول الحكيم "آنى" : لا تدخلن بيت غيرك ولا تمعنن النظر إلى الشيء المنتقد فى بيته الذى يمكن لعينك أن تراه والزم الصمت ولا تحدثن عنه لآخر فى الخارج.

ويقول أيضاً : وأجتنب كل ما ينافى الآداب وحسن الخلق وغض البصر عن كل عيب وهذا متوافق مع ما جاء فى القرآن الكريم : ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم﴾[النور ٣٧]

ولقد استدل بعض الباحثين من هذا التشابه بين أقوال الحكيم "آنى" وما جاء فى القرآن الكريم أن المصريين القدماء كانت لهم كتب سماوية خرجت من نفس اللوح المحفوظ الذى خرجت منه آيات الكتاب الكريم وسائر الكتب السماوية.

وأن الحكيم "آنى" نفسه قد أكد ذلك حين قال "إذا استشارك أحد فأشر عليه بما تقتضيه الكتب المنزلة"[1].

ثالثاً - الحكمة والميتافيزيقا :

لم تقتصر الحكمة عند "آنى" على تحصيل المعارف والمعلومات وتسجيلها ، ولم تقتصر على تقديم تصور للألوهية متوافق كثيراً مع ما جاء فى القرآن والكتب السماوية .

بل تضمنت الحكمة عنده على تصور ميتافيزيقى للحياة الآخرة وعالم ما بعد الموت فقد استطاع الحكيم "آنى" تصوير رحلة الروح إلى العالم الآخر وما يصادفها من أحوال بعد انتقالها إلى عالم الخلود.. واستخدم "آنى" فى هذا التصور الخيال المجرد وقدرته على التأمل العقلى واستعان بما وصل إليه من معارف وأساطير ومعتقدات مصرية راسخة عن عالم الخلود والبعث والحساب ،

---

[1] راجع : القدماء المصريين أول الموحدين : د. نديم السيار حـ١ ص ١٥٣ - ١٥٦ ، وما جاء فى الأدب والدين عند قدماء المصريين .د. أنطون ذكرى ص١٦ ، والأدب المصرى القديم .د. سليم حسن حـ ١ ص٢٣٣ - ٢٣٥ ، وعلى هامش التاريخ د. عبد القادر حمزة م٢ ص١٧٢.

وعبر عن إيمانه العميق بهذه المعتقدات فقدم لوحة رائعة عن حياة الروح في عالم ما بعد الموت[1].

ويمكن القول أن تصور "آني" (الميتافيزيقى) فى الألوهية وعالم الآخرة قريب الشبه كثيرا بما جاء فى الأديان والقرآن وما ورد فى قصة الإسراء والمعراج مع الفارق فى كون الإسراء والمعراج معجزة إلهية للنبى ﷺ وتسرية له وتعليم أما تصور الحكيم آنى فهو رؤية خيالية وتجربة روحية وعقلية وأن رحلة "آنى" رحلة روحية فقط وتصور ما بعد الموت أما الإسراء والمعراج فهو رحلة جسدية وروحية ورحلة حياتية ورؤية عينية وحدثت فى الحياة الواقعية بقدرة إلهية.

لقد تصور آنى إنه مات وانتقلت روحه سابحة إلى العالم الآخر وعادت لتروى ما حدث لها بعد مفارقتها للجسد ومعاناتها أثناء عملية التحنيط والمراسم الجنائزية ثم أثناء رحلة المومياء إلى الشاطىء الغربى للنيل حيث يتم دفن المومياء وبعدها صعدت الروح فى موكب الشمس عبر الفضاء حتى وصلت إلى المحكمة التحضيرية التى يتصدر منصتها اثنا عشر قاضيا يمثلون بروج السماء الإثنى عشر .. وفى هذه المحكمة تتعرف روح الميت على البرج الذى ينتمى إليه والذى كان مسيطرا على صفاته وسلوكه فى الحياة ويتزود بنصائح ممثل البرج وتعاليمه التى تعينه على مصاعب الرحلة القادمة أو التالية بعد الحساب وهى رحلة الروح إلى عالم الخلود فى السماء السابعة حيث تمر بسبع سماوات متعاقبات.

---

[1] يمكن الرجوع إلى بردية الحكيم "آنى" المشهورة بعنوان رحلة إلى العالم الآخر والتى عرفت بالبردية المطولة لأن طولها يبلغ ثلاثون مترا وتوجد بالمتحف البريطانى بلندن كما يمكن الرجوع إلى كتاب الموتى للحكيم "آنى" المشهور بالكاتب الجالس القرفصاء وبه وصف محاكمة الروح فى الاعتقاد المصرى القديم.

ويصف "آنـــى" كل منها بالتفصيل ويصـــور مـــا تحتـــوى عليـــه مـــن كائنـــات ومخلوقات وما يتعلق بها وبكل منها أساطير وحكايات ومـــا يجـــب أن يتلـــى فيـــها مـــن تعاويذ وأدعية ويقول "آنـــى" "توجد فى السماء الســـابعة محكمـــة الآخـــرة وفيـــها يـــتربع الإله "أوزير" على عرشه السماوى يشع النـــور مـــن جســـده ويضـــىء قاعـــة المحكمـــة بأكملها ويصف "آنـــى" إجراءات محاكمة الموتـــى [فـــى عـــالم الأرواح] ومـــا يتـــم فـــى عملية ميزان الحسنات والسيئات ومـــا يقـــوم بـــه الملكـــان اللـــذان يســـجلان الحســـنات والسيئات والأسئلة التى يوجهها القضاة والأجوبـــة التـــى أعدهـــا مقدمـــا والدفـــاع الـــذى استعد به وكيف يصدر الإله "أوزير" فـــى نهايـــة حكمـــه بتســـجيل ولادة "آنـــى" [ولادة روحه من جديد] فى عالم الخلـــود.

وينتقل بعد ذلك "آنـــى" من المحكمة إلى وصـــف جنـــة الخلـــود ويصفـــها بأنـــها مكونة من سبع طبقات أو سبع جنـــات تبـــدأ بجنـــة الأبـــرار ثـــم جنـــة شـــهداء حـــرب العقيدة ثم جنة المرسلين وجنة الملائكة ، ثم تستمر الـــروح صعـــودا حتـــى تبلـــغ أعلـــى درجات الجنة وهى جنة النور التى يقوم فيها عـــرش الإلـــه .

ويصف "آنـــى" أنهار الجنة وهى نهر مـــن الخمـــر وآخـــر مـــن اللبـــن ونـــهر من عسل ويصف حقولا من القمح سنابله من الذهـــب الخـــالص وبـــها ملابـــس لا تتســـخ ولا تبل وفيها شباب دائم وأجسام لا تعرف المـــرض أو التعـــب أو الفنـــاء وليـــس فيـــها أرواح خبيثة أو شريرة أو حيوانات كاســـرة أو حشـــرات[1].

نص نصائح الحكيم آنى :

- أدع بقلب محب ، ولا تجهر بصوتك يستجيب الإله لدعـــائك ويســـمع مـــا تقـــول ويتقبل قربـــانك .
- إياك ألا تقاوم الالتواء فى داخليـــة نفســـك .

---

(1) الكاتب المصرى : د. سيد كريم ص ٣٣ – ٣٥.

- إن جوف الإنسان أوسع من شئونتى الغلال الملكيتين يتسع لكل جواب ، فتخير خير الحديث ، وتكلم صوابا واحتفظ بسيئة فى جوفك.

- تخير زوجتك حين الصبا ، وأرشدها كيف تصبح إنسانة وعساها تنجب لك طفلا ، فإنها إذا أنجبت لك وأنت شاب استطعت أن تربيه وتجعله رجلا . وطوبى للرجل إذا أصبح كثير الأهل وأصبح يرتجى من أجل أبنائه.

- لا تقس على زوجتك فى دارها إن أدركت صلاحها ولا تسألها عن شيء أين موضعه الملائم.

افتح عينيك وأنت صامت تدرك فضائلها وإن شئت أن تسعد فأجعل يدك معها وعاونها. فكثير من الناس يجهلون كيف يمنع الناس أسباب الشقاق فى داره .

وقد لا يجد أحدهم مبررا للنزاع فيعمل على خلقه بينما يستطيع كل إنسان أن يوفر الاستقرار فى داره إذا تحكم سريعا فى نزعات نفسه. ولكن أحذر أن تمشى فى طاعة أنثى أو تسمح لها بأن تسيطر على رأيك .

- لا تغضب أمك لئلا ترفع يديها إلى الله فيستجب دعاؤها عليك وأجعل نصب عينيك كيف حملتك أمك ووضعتك وكيف ربتك.

- لا تتردد على محال الخمور احتراسا من عواقبها الوخيمة لان لشارب الخمر فلتات يستفظع صدورها من نفسه متى أفاق ، وهو دائما مبتذل محتقر عند الناس وحتى بين إخوانه الذين يشاركونه غروره وشروره.

- لا تسأل عن صورة ربك.

- احتفى بإلهك وأذكره – فان الله يغضب على من يستخف به وقرب قربانك لله شكرا.

- إذا صليت لله فلا تجهر بصلاتك .

- وإذا استشارك أحد فأشر عليه بما تقضيه الكتب المنزلة.

- ضاعف الخبز لأمك واحملها إن استطعت كمـــا حملتــك فطالمـــا تحملــت عبئــك ولم تتركك .. فـــإذا اســتتبت واتخــذت زوجــة واســتقررت فــى دارك ضـــع نصب عينيك كيف ولدتك أمك وكيف كانت تربيتـــك كلــها .

- لا تجبر نفسك على أن تشرب زق جعة فـــإنك إذا شــربته عجــزت عـــن البيـــان وتكلمت لغوا لا تدرك معنـــاه.

- لا تأكل طعاما وغيرك واقف دون أن تحث الخطـــى إليـــه وتمـــد يـــدك بالطعـــام إليه ، وسوف يعرف ذلك لك إلـــى الأبـــد .

- لا تبحث أسرار ملكوت ربك فهى فـــوق مـــدارك العقـــول .

- خاف من الله واتـــق غضبــه ، لا تفعــل مـــا يكرهـــه ربــك وأحفــظ وصايـــاه وإرشاداته فإنه يرفع من يمجـــده.

- دع عينيك تعرف قيمة ربك ، واحترم اســمه لأنـــه الـــذى يعطـــى القـــوة لجميـــع المخلوقـــات.

- كن شهما شجاعا فإن الجبان لا يستفيد من الحياة غير مـــا وهـــب الله لـــه.

- أخلص إلى الله فى أعمالك لتتقرب إليه وتـــبرهن علـــى صـــدق عبوديتـــك حتـــى تنالك رحمته وتلحظك عنايتـــه.

- ولا تمش الخيلاء فان الله هو الذى يجعل مـــن يشـــاء عظيمـــا.

- من أتهم زورا فليرفع مظلمته إلى الله ، فإن الله كفيـــل بإظـــهار الحـــق وإزهـــاق الباطل.

- إياك أن تميل إلى المرأة فتلعب بدينـــك وشـــرفك ولا تحـــدث ضمـــيرك بشـــأنها فإنها كالماء العميق الذى لا يعرف له قـــرار فـــإن الشـــهوات طريـــق الموبقـــات وإن الزنا لجرم عظيـــم.

- لا تذهب إلى بيت إنسان بحرية بل أدخله فقط عندمـــا يـــؤذن لـــك .

- لا تدخلن بيت غيرك ولا تمعنن النظـــر إلـــى الشـــىء المنتقـــد فـــى بيتـــه الـــذى يمكن لعينيك أن تراه. والزم الصمت ولا تحدثن عنه لآخـــر فـــى الخـــارج.

- وأجتنب ما ينافى الآداب وحسن الخلق ، وغض البصر عـــن كـــل عيـــب .

- فليكن أمنيتك أن تصبح كاتبا ، فالكتاب أعظـــم رزق تســـعى إليـــه وأعظـــم هبـــة يهديها الإله لمن يســـعى إليـــها ، لأن المعرفـــة المقدســـة هـــى أعلـــى مراتـــب المعرفـــة.

- إن الكتاب أعظم قيمة من مسكن الحيـــاة حيـــث تشـــرق الشـــمس وأبقـــى خلـــودا من مقبرة حيث تغرب الشـــمس .

- يا بنى هل بيننا من يضارع أو فرا ؟ هل بينكـــم مـــن يتســـاوى مـــع "أمحوتـــب " يا بنى هل فى عصرنا من هو مثل "نفـــرى آختـــى" أو "بتـــاح حوتـــى "وكـــاخبر" وهم أعظم العظماء الذين تتطلع إليهم الأنظار وتنخفـــض أمامـــهم الـــرؤوس. يـــا بنى هل بينكم من يقول إنه مثل "بتـــــاح حوتـــب" أو "كـــاتريس"؟.[١]

---

[١] راجع الحكم والنصائح فى :

- التربية والتعليم فى مصر القديمة : د. عبد العزيز صالح ص ٩٦١٨١ ط ١٩٦٦.
- الأدب المصرى القديم جـــ ١ : د. سليم حسن ص١٨٦ ، ٢٣١ ، ٢٣٨.
- الفن المصرى القديم جـــ ١ : د. ثروت عكاشة ص ٢٦٤.
- الأدب والدين عند قدماء المصريين : د. أنطون ذكرى ص ٢٦ - ٣٦ .

خــون إنبــو KHON ENBO
2052-2130 ق.م

"خــون إنبــو" ، (خــو إن أنــوب .K H O IN ANOB) هــو القــروى الفصيح الذى عرفــت قصتــه وتناقلتــها كتــب الأدب والروايــة والتــاريخ ، وســجلت مخاطباته (رسائله) إلــى الملــك "خيتــى الثــالث" ملــك إهناســيا فــى أواخــر الأســرة العاشرة فى نهاية القرن الثــانى والعشــرين قبــل الميــلاد أى بيــن ٢١٣٠ إلــى٢٠٥٢ ق.م وهى الرسائل التى سجلت موقف "إنبــو" مــن قضايــا العــدل والحريــة والشــر والظلم ونظام الحكم وأحوال الرعيــة.

أولا - شهرة "إنبــو" التاريخيــة :

اشتهر "خو إن أنــوب" (أنبــو) بيــن المؤرخيــن ورجــال الفكــر والأدب بأنــه أديب العصر الأهناس لأن كلماته التى كتبــها صــورت حقيقيــة الواقــع المصــرى فــى ذلك العصر وما يشعر به الفرد كما صورت بـقيــة أحــوال الحكــم والإدارة.

وعبرت عن حقيقــة الظلــم والإحســاس بــه وكيفيــة تحقيــق العدالــة ، كمــا تعرض لعوامل ضعف الدولة وأســباب انــهيارها وفــي مقدمتــها المســاوى الأخلاقيــة وفساد النظم الاجتماعيــة والفــوارق الطبقيــة وطــالب بمحــو الظلــم والشــر وتحقيــق العدالة وإعطاء كل ذى حق حقه وحماية الفقير من الحــاكم الغنــى الظــالم[1].

والقول بــأن شــهرة "إنبــو" التاريخيــة ترجــع إلــى طرافــة قصتــه وقــوة حواراته والعصر الذى وقعت فيه قــول دقيــق لأن أحــداث هــذه القصــة وقعــت فــى

---

[1] العصر الإهناسى : له عدة مسميات فى التاريخ : فهو عصر الاضمحلال الأول حيث بدأ في نهاية الدولة القديمة وبداية الدولة الوسطى ، واستمر حوالى ٢٥٠ عامًا سادت فيها الفوضى وانهار الحكم المركزى ودارت المعارك بين حكام الأقاليم وانتشر الفساد والظلم واختلت القيم الدينية والخلقية. وهــو عصــر التحرير حيث سعى حكام الأقاليم للتحرر من سلطان الحكم المركزى وتحقيق الاستقلال .

أواخر أيام الأسرة العاشرة في أهناسيا أيام الملك "خيتى الثالث" الذى عرف بحكمته وشجاعته ، وعرف بالفيلسوف الأخلاقي حين سجل مواعظه لابنه الملك "مريكارع" فى بردية مطولة رسم له طريق النجاح وضرورة أن يتحلى الحاكم بالشجاعة والحكمة ، وأن يلتزم في سياسته بالعقل والقانون وأنه رغم القلائل وعدم الاستقرار حث ابنه على التعامل مع الجميع بالرحمة والعدل ، وهذه المبادئ نفسها هى جوهر كلمات القروى الحكيم "خون إنبو" ورسائله[1].

ومعروف أن العصر الإهناسى كان بداية الصراع السياسى في مصر القديمة وثورة حكام الأقاليم الذين سعوا للاستئثار بالسلطة والحكم فنشب الصراع وبدأت مرحلة من عدم الاستقرار والضعف وانتشر الفساد والظلم واختلت القيم وتأثر المجتمع بذلك ، ونهض الحكماء ورجال الدين يحذرون من خطر الصراع وتدهور القيم منذ ظهور الملك "خيتى الأول" [مرى أب رع] أوائل الأسرة العاشرة وحتى "خيتى الثالث" آخر ملوك هذه الأسرة في أهناسيا حيث وقعت أحداث هذه المحاورات واستطاع "أنبو" تصوير هذا الواقع بصدق وموضوعية أعجب بها الملك وأعجب بها الشعب فعاشت كلماته مع الأجيال حتى الآن.

وتروى بردية القروى الفصيح أن "خو إن أنوب" [أنبو] كان يعيش فى قرية غيط الملح قرب الفيوم ويعمل بالزراعة والتجارة ، وأن قصته الحوارية بدأت عندما جمع هذا الفلاح البسيط محصوله وتجارته من النطرون والأعشاب والجلود والذهب والحبوب وحملها على الدواب وذهب لبيعها فى العاصمة أهناسيا. وفى طريقه مر على قرية "برفيفى" وبها ضيعة أحد كبار موظفى القصر الملكى ويسمى تحوتى الذى كان يدير هذه الضيعة لحساب كبير وزراء القصر ويسمى "رنس بن مرو" الذى كان فى نفس الوقت قاضياً وكبير أمناء القصر.

---

[1] سميت حوارات إنبو مع تحوتى نخت والقاضى باسم قصة القروى الفصيح والشكاوى التسعة والخطب كما جمعت بين القصة والحوار والحكمة وشجاعة الرأى في نفس الوقت.

ولما رأى "تحوتى نخت" بضاعة "خون إنبو" تعبر ضيعته وبها هذه النفائس طمع بها وقرر الاستيلاء عليها بالحيلة ، فأدعى أن دواب "أنبو" قد اعتدت على زراعته وانتهكت حرمة ضيعته وبالتالى يحق له الاستيلاء عليها وبالفعل تم له ذلك.

لكن القروى الحكيم أسرع بمقابلة كبير وزراء القصر وصاحب الأرض وهو القاضى "رنس" وأبلغه بالقصة واستيلاء "تحوتى نخت" على بضاعته ظلما وعدوانا

وكان لقاء "أنبو" مع "رنس" كبير الوزراء و"تحوتى" نخت فى العاصمة أهناسيا بداية للمحاورات واكتشاف بلاغة القروى وحكمته وقدرته على التعبير والاستدلال والحكم فى نفس الوقت.

وتبدأ المحاورات بمطالبة "أنبو" بحقوقه وبضاعته واتهام تحوتى نخت بالسرقة.

- قال "أنبو" بصوت عال : أريد حقى وبضاعتى.
- فنهره تحوتى نخت بقوله : لا ترفع صوتك يا فلاح أنت قريب من بلد رب السكون[1].
- رد عليه "أنبو" بقوله : تضربنى وتنهب متاعى وتوقف الشكوى على لسانى ثم نادى بصوت عال : يا رب السكون اعطنى إذن حاجتى حتى أبطل الصراخ الذى يغضبك.
- ثم عاود "أنبو" مطالبة "رنس" بحقه فى شجاعة لأن ذلك هو العدل وما يجب أن يكون عليه الملك وما يجب أن يكون عليه البشر من قناعة وصدق.

---

[1] رب السكون فى ذلك الوقت هو أوزير ، وكان له ضريح قريب من برفيفى يهابه الناس ويحترمونه.

وعندما أدرك "رنس" الحقيقة وأدرك في نفس الوقت بلاغة القروى وقوة حجته أعجب به وأبلغ الملك بما رآه وسمعه منه فسر الملك لهذه الطلاقة والشجاعة والقدرة على الوصف والبيان وطلب من كبير أمنائه "رنس" أن يستثيره ليكتب المزيد من الآراء ووصف أحوال العباد ومدى ظلم الأمراء ، وكيف علل ذلك بسوء أحوال البلاد وفساد الأخلاق وعدم الالتزام بالقيم والمبادئ والقوانين.

والواقع أن شهرة "أنبو" التاريخية ترجع إلى شخصيته من جانب وأراءه التى جاءت فى رسائله من جانب آخر .

حيث كان العامل الشخصى المتمثل فى ذكائه وشجاعته السبب الأول فى إعجاب الوزير "رنس" والملك "خيتى به" ، حيث كان "أنبو" صورة للمواطن الشجاع الذى يواجه الملك ورجال البلاط فى شجاعة وإصرار على المطالبة بالحق ، وكان ذكاؤه وحسن إدارته للحوار وأسلوبه المتميز يعكس مدى حكمته وذكاؤه حين عرض الموضوع بصورة كلية مترابطة ومنطقية معللا الأسباب الحقيقية وراء الظلم والقهر والعدوان ، ولم يقتصر "إنبو" على المطالبة بحقه بل قدم وصفا دقيقا للمساوئ الاجتماعية وعوامل الفساد والطريقة المثلى لتحقيق العدالة والأمن والاستقرار ، واستطاع بالمنطق والحجة مواجهة كل من القاضى وتابعه بأخطائهم ودعاهم إلى التمسك بالقيم والمبادئ ومراعاة الحقوق والواجبات وكيف يتغلب الفرد على شرور نفسه وهواه.

ومنذ اللقاء الأول أو الرسالة الأولى التى حملها القاضى "رنس" للملك والتى تضمنت استعطافا رقيقا ووصفا دقيقا مقنعا للوقائع فى إطار الوضع الاجتماعى والحالة النفسية للموطن حين تسؤ الأحوال ويطمع الكبار فى أملاك الصغار وحقوقهم وماذا يشعر الفرد عندما يفقد الأمان . وكان تسلسل الأفكار وقوة الحجة وحسن البيان ما جعل "رنس" يطلب المزيد من الشرح والتوضيح والمزيد من الوصف والتعليل لإبلاغ كل ذلك إلى الفرعون .

أما شهرة رسائل "أنبو" وحواراته فترجع إلى عدة عوامل منها :

- إنها أصبحت من عيون التراث المصرى الخالص الذى يدرس بالمدارس والمعابد فعرفتها جموع الشعب ومختلف الطبقات وذلك لأنها كانت مجموعة من الآراء والمواقف والحوارات التى تميزت ببلاغة الأسلوب والصدق فى التعبير ، وجمعت بين الفصاحة والسخرية والصدق والتهكم مما أكسبها مكانة خاصة فى وجدان وفكر قدماء المصريين الذين شاع لديهم هذا النوع من القصص والمواقف ذات البعد النقدى والاجتماعى الواضح وعشقهم لهذا الأسلوب البلاغى وشجاعة الفكر[1] .

- إنها نجحت فى تصوير جانب هام من الحياة الاجتماعية فى مصر والصراع الطبقى وانتصار الخير على الشر والعدل على الظلم ، واثبات الحقائق الأبدية بأن صاحب الحق لابد أن يناله وأن الظالم لابد أن ينال جزاء ظلمه وأن الحاكم الشجاع هو الذى يراعى العدل دائما ، فكانت الحوارات صورة تجمع بين الواقع والأسطورة التى تجذب الانتباه وتحرك المشاعر ، ولهذا حرص الكتاب والحكماء استخدامها ضمن مواد أو مقررات تدريب الذاكرة حيث تداولونها فى مجالسهم ومناسباتهم القومية والشعبية والاحتفالات فاستمرت فى الذاكرة عبر العصور وحتى الآن .

- إنها صورت مدى تقدم وتطور الفكر المصرى وأثبتت حقيقة اهتمام جموع الشعب بالتعلم والقدرة على التعبير والكتابة وتمسكهم بالحكمة والقيم إلى جانب اهتمامهم بالعمل اليدوى سواء كان زراعة أو صناعة أو تجارة.

- إنها جمعت جوانب الحكمة نظرية أو عملية من دين وأخلاق وسياسة وأدب وهى الموضوعات التى كانت تستخدم فى تمرين الذاكرة لتثبيت المواعظ والقيم واستلهام الحكمة وتعليمها وحرص الأباء على تلقينها للأبناء ، وهذا التذكير بالموعظة والحكمة كان من أهم مميزات الشعب المصرى دون غيره من الشعوب.

---

[1] الشرق الأدنى القديم جـ ١ ، ص ٣٩٥ & الكاتب المصرى ص ١٨٥.

- إنها قدمت مفهوما عمليا للعدل وحقيقته يرتبط بالضمير الخلقى فالعدل عند "أنبو" مساواة فى جميع الحقوق والواجبات. وهو غاية كل حاكم وقاضى وصاحب ضمير فالعدل عنده يجب أن يكون هدفا وقيمة ورابطة ضرورية ومسئولية مشتركة وإطار عام يجب أن يحكم العلاقة بين أفراد المجتمع ، كما إنها صورت انتصار فضيلة الشجاعة عندما يتحلى بها صاحب الحق ويسعى إليها عند من يستغله أو يسلبه حاجته إذا كان ذا سلطة وقوة كما نبهت لأسباب انهيار الدول ومقومات بنائها .

وهكذا نجحت محاورات "خون أنبو" وشجاعته وقوة حجته فى تدعيم القيم الاجتماعية وتحقيق اليقظة الفكرية ، وكانت صورة صادقة للنقد الاجتماعى الهادف وترجمة صادقة للدعوات الإصلاحية التى تزعمها بعض الكهان والحكماء أو بعض الملوك الإصلاحيين الذين دعوا إلى إقامة الحكم على العدل والمساواة.

ثانيا - حوارات خون إنبو ورسالاته التسع :

(١) الرسالة الأولى جاء فيها :

أيها الملك العادل ظل الإله فى الأرض .
أنت تجيء كنور الحق وبمجيئك يختفى ظلام الباطل .
أنت تجيء كالشبع وبمجيئك ينتهى الجوع .
أنت تجيء كالثياب وبمجيئك ينتهى العرى .
أنت تجيء كماءنهر الحياة وبمجيئك ينتهى الظمأ.
أنت كالنسمة الصافية تجيء بالهدوء بعد العاصفة الهوجاء.
فأنت الدفء لمن أصابه البرد .
أيها الملك العادل ظل الإله فى الأرض .
لا تكفر بتلك النعم التى خصك بها الإله .
إن العدالة فى حكم الناس مسئوليتك أمام الإله .
إنك مسئول عن كل شيء ومسئول عن اختيار قضاتك
وقضاتك مسئولون أمام الإله .

تعقيب :

دارت هذه الرسالة حول العـدل وأثـر العدالـة الإيجـابى ومسـئوليات الحـاكم العامة فى اختيار القضاة وتطبيق القوانين لان الكل مسـئول أمـام الإلـه .

وفيها ركز "أنبـو" على الآثار الحسـية المترتبـة علـى تطبيـق مبـدأ العدالـة فإذا ما تحقق العدل ساد النور واختفى الظـلام وسـاد الشـبع واختفـى الجـوع والفقـر وشعر الناس بالأمـان والاسـتقرار وعرفـوا معنـى السـعادة فـى الـهدوء والـدفء والأمان فعندها يجب الشكر للإله الذى أمر بـالعدل وأنعـم علـى جميـع البشـر الذيـن أطاعوه وتحملوا مسئولية العدالـة والحـق .

وعندما قرأ القاضى "رنس" هـذه الرسـالة أعجـب ببلاغتـها وتناسـق كلماتـها وحسن اختيار كلماته فى التعبير عن العدل والحـق ، أدرك صدقـها فأسـرع بـها إلـى الفرعون وأخبره بالقصة وموقف هذا القـروى الشـجاع الفصيـح .

وعندما دخل القاضى "رنس" بالرسالة قال : مـولاى لقـد وجـدت واحـدا مـن أولئك القرويين جيد الكلم يتحـدث بـالصواب وقـد نـهب متاعـه وأتـانى يتظلـم إلـى وأطلعه على محتوى الرسالة الأولـى .

- فرد الفرعون "خيتى الثـالث" قـائلا : "اسـتحلفك بحـق مـا تحـب أن ترانـى معافى أن تؤخره هاهنا ولا تعقب على شـىء يقولـه عسـاه يواصـل الحديـث ثم يؤتى إلينا بحديثه مكتوبا فنسمعه بشـرط أن تتكفـل بـرزق زوجتـه وعيالـه دون أن تشعره بأنك أنت معطيـه.
- وعلى الفور رجـع "رنـس" إلـى القـروى "أنبـو" ليواصـل اسـتفزازه لـه ليواصل "أنبـو" حديثه وشكواه ويكتب مـا يريـد .
- وبالفعل بدأ "خون أنبـو" كتابة رسالته الثانيـة فـى المطالبـة بحقـه ووصـف أحوال البلاد والعباد وأسباب الفساد ، وانتقل مـن موقـف الاسـتعطاف والمـدح إلى موقف النقد والتحليل فـأنذر القـاضى ورجـال الحكـم مـن خطـر الفسـاد والظلم وأنذرهم من انتقام الشعب والإله من كـل قـاضى خـرب الذمـة ودعـا الحكام والقضاة الالتزام بالعدل والحق والوقـوف بجـانب المظلـوم .

(٢) الرسالة الثانية جاء فيها :

أيها الملك العادل ظل الإله في الأرض .

إذا كنت حقا أبا لليتيم وزوجا للأرمل وأخا للمطلقة ورداء لمن لا أم له ، فشجعني على أن أنشر سمعتك في هذه الأرض بما يتفق مع كل قانون قويم . وعساك أن تكون حاكما بريئا من الجشع ونبيلا منزها عن الدنية.

أيها الملك العادل ظل الإله في الأرض .

عليك أن تزهق الباطل وتحق الحق وتلبي نداءه .

وها أنا ذا أقول لك وأنت تسمع ، فأقم العدل أمدحك ويمدحك المادحون وأزل معاناتي فقد ثقلت واحمني فقد ضعفت.

تعقيب :

دارت هذه الرسالة حول أثر العدل الاجتماعي وأن العدل هو القانون القويم عندما ينتشر ويسود أنحاء المجتمع وأن متطلبات العدل لا تقتصر على تطبيق القوانين فمن العدل إعالة اليتيم والمسكين والأرملة ، ومن العدل إعاشة المحتاج والفقير ، ومن العدل حماية الضعيف وأمنه ويجب أن يكون الحاكم عادلا فلا يطمع ولا يظلم ولا يقهر .

وقد عبرت هذه الكلمات وصدقها عن معرفة "إنبو" بواقع الشعب الأليم وأن "إنبو" لم يطالب بحقه فقط ولكن يطالب بالعدل والحق للجميع ، لكل مظلوم ومحتاج ويتيم ، ومن ثم أراد القاضي أن يستحثه على كتابة المزيد من الرسائل ليسمع الملك حقيقة أوضاع شعبه ومشاعرهم وقيل أن القاضي أمر بضرب القروي الفصيح حتى يستمر في كتابة شكاواه والتعبير عن مشاعره ، وأفكاره.

وهكذا بدأ يكتب رسالته الثالثة الموجهة نحو القاضي نفسه وهي تعكس مدى إصرار "إنبو" على المطالبة بإقامة العدل والمساواة وكشف مساوئ المجتمع .

(٣) الرسالة الثالثة جاء فيها :

أيها الملك العادل ظل الإلـــه فـــى الأرض .

لقد ضل ابن مرو طريقه (أى القاضى "رنس بـــن مـــرو")

وعمى وجهه عما يراه ، وأصيب بالصم عمـــا يسـمعه

وضل ضميره عما يذكر بـــه .

أيها القاضى : إنك أشبه بقرية بغير عمـــدة أو جماعـــة لا كبـــير لـــها أو مركب لا ربان فيها وعصبة لا هـــادى لـــها .

أيها القاضى : أنت نبيل نهاب وحاكم مرتشـــى وكبـــير لمنطقـــة كـــان ينبغى أن يمنـــع الاختـــلاس ولكنـــه أصبـــح نموذجـــا لمن يود أن يختلـــس .

أيها القاضى : أنظر إنك الرئيس وبيـــدك المـــيزان .. إذا أختـــل هـــذا الميزان أختل مركزك أمام الناس وأمـــام الإلـــه .

أيها القاضى : لا تول وجهك للظالم ولا تول ظـــهرك للمظلـــوم فالإلـــه يراك.

أيها القاضى : إنك صانع العدل ومن يصنع العدل لا يمكنه أن ينحـــرف عنه ، إنك تمثل القلم والمحـــبرة ولفـــة الـــبردى فـــلا تترك قلمك يسطر إلا ما يميله عليك ضمـــيرك. إنـــك تحاســـب النـــاس فـــأحكم بـــالعدل ولا تنســـى أن أحكامك ستحاسب عليها عندما يحاسبك الإلـــه فـــى ميزان الآخرة.

أيها القاضى : استمع إلى صوت المظلوم قبل اســـتماعك إلـــى صـــوت الظـــالم إنـــك دفـــة الســـماء فـــلا تنحـــرف وســـارى الأرض فاســـتقم .

تعقيـــب :

صورت هذه الرسالة قدرة "أنبو" على النقد والتحليل ، كما صورت شجاعته فى التعبير عن الرأى فوصف القاضى "رنس" كبير قضاة القصر الفرعونى ، بالعمى عن الحق والضلال وعدم الضمير والضعف عن اتخاذ القرارات الصائبة وآثر ذلك فى اختلال الأمور وانتشار الفساد والظلم. كما وصفه بالنبيل النهاب والحاكم المرتشى.

كم نجح "أنبو" فى هذه الرسالة فى إثارة عواطف القاضى وتحذيره من عقاب الإله الذى يعاقب الظالم الذى يمنع العدل ولا ينصر المظلوم ولا يستجيب لضميره.

إنها كلمات شجاعة تدل عن معرفة وثقة وإيمان بضرورة تطبيق العدل وانتشار السلام والأمان بين الجميع.

وأكدت هذه الرسالة مدى عمق الإيمان بعدالة السماء وبحقيقة الإله الذى يسمع ويرى ويحاسب ومدى انتشار معتقد الجزاء والحساب على الأعمال ..

وهى تقرر أيضا مدى مسئولية الرئيس والقاضى وإنها مسئولية عظيمة لأن العدل واجب وقيمة تحفظ على الرئيس قيمته وإذا انحرف عن العدل اختل مركزه أمام الناس وأمام الإله.

وإن من العدل حسن الاستجابة والسمع وإقرار الحق وقول الصدق واتباع الضمير لأن العدل من أفضل الأعمال الذى يحاسب عليها الإله.

ولهذا طالب "إنبو" القاضى بأن يحكم بالعدل وأن يتذكر بأنه محاسب على أحكامه فى الآخرة كما يحاسب الناس فالعدل دفة السماء التى لا تنحرف ، والقاضى العادل هو دفة الأرض التى يجب أن تكون كذلك.

(٤) الرسالة الرابعة جاء فيها :

أيها القاضى : لقد انفلت العدل من تحتك وأقصى عن موضعه والموظفون يشاغبون والموعظة الحسنة أهملت ، وهاهم القضاة يتخاطفون ما سلب منى.

أيها الدفة لا تنحرف وأيـــها الســـند لا تميـــل وأيـــها الخيـــط لا تتذبـذب.

أيها القاضى : هاأنت رئيس وبيـــدك مـــيزان.

إذا اختل الميزان فـــأنت مختـــل ولســـانك مـــن لســـانه وقلبـــك صنجته وشفتاك فيـــه .

فإذا سترت وجهك عمن يطفف فمن يرفـــع العـــار.

أيها القاضى : أقم العدل لرب العدل الذى عـــدل عدالتـــه موجـــود.

ويا قلم تحوتى وقرطاسه ولوحته تـــنزهوا عـــن عمـــل الســـوء فإنما الخير بالخير والحسنى لها ما هو أحســـن منـــها.

والعدل خالد إلى الأبد يهبط مـــع صاحبـــه إلـــى الجبانـــة فـــإذا دفن احتوتـــه الأرض .

أيها القاضى : من يكون سندا لا ينبغى لـــه أن يميـــل.

ومن يكون ميزانا لا ينبغى لـــه أن يتذبـــذب.

وسواء جئت أنا أم آتى غـــيرى وجـــب عليـــك أن تتحـــدث ولا تنصت إلى هكذا كما لو كنت أحادث شـــخصا أخـــرس.

أيها القاضى : قل الحق إذن وأفعل الصـــواب فـــالعدل عظيـــم.

تعقيـــب :

حدد "إنبـــو" فـــى هـــذه الرســـالة معيـــار النجـــاح للرئيـــس وأســـباب الخلـــل والضعف كما حدد مسئوليات القاضى حين وصفه بأنـــه رســـول الملـــك والدفـــة والســـند والميزان ودعا المسئول أن يقيم العدل لا من أجل شخص بـــل مـــن أجـــل الإلـــه العـــادل فقال للقاضى أقم العدل لرب العدل الذى عـــدل عدالتـــه موجـــود.

ودعا أهل الحكمة والخـــير وأصحـــاب المعـــارف أن يتـــنزهوا عـــن المســـاوئ وأن يتمسكوا بأفعال الخير فذلك جـــزاء العـــدل.

وأوضح "أنبو" أن العدل من القيم الخالدة الدائمة وأن العدل عظيم وباق لأنه أفضل الأعمال ، وأن ما ينبغى أن يكون هو أن يكون القاضى سندا وعونا وميزانا لا يميل ولا يظلم وإن إقامة العدل من الواجبات التى لا تؤجل ، فالعدل قول الحق وفعل الصواب ولهذا فالعدل عظيم .

(٥) الرسالة الخامسة جاء فيها :

أيها الملك العادل ظل الإله فى الأرض :

إنك رب العدالة وأعظم العظماء

إنك إذا نزلت بمركبك فى نهر العدالة فستملأ الريح قلاعها فلا يتمزق شراعك ولن يصيب سفينتك الخلل ولن تقطع حبال مراسيها ولن يجرفها التيار فيختل ميزانها.

أيها الملك العادل ظل الإله فى الأرض :

إن رجل العدالة هو الأب لليتيم والرجل للأرملة والأخ لمن هجره أهله وهو الستر لمن لا أم له.

أيها الملك العادل ظل الإله فى الأرض :

إن حياة الفقير فى ماله فمن أخذه منه فقد خنقه. إن أمان الفقير فى أمن بيته فإذا فقد أمانه كمن أحترق بيته.

أيها الملك العادل ظل الإله فى الأرض :

إذا جف ماء النهر ونهر الأمن فكيف تتمكن السفينة من عبوره وكيف يسترد الفقير والمظلوم حقه الذى وضعتموه على الشاطىء الآخر من نهر العدالة والحق الذى جف ماؤه.

تعقيب :

هذه رسالة عتاب وتنبيه للملك بأهمية التزام العدل وتطبيق قوانين العدالة وهى نداء صريح لإنقاذ البلاد من الخلل والمساوئ والانهيار والمنقذ من كل ذلك هو الضمير اليقظ والحاكم العادل.

وهى نداء للملك أن يستيقظ وأن يكون نصيراً للعدالة وبأن يكون أبا لليتيم وأخاً وعوناً للمحتاج والضعيف والمقهور.

وهى نداء لتحقيق الأمان والاستقرار ودعوة للإصلاح وما يجب أن يكون عليه الملك العادل من صدق وإخلاص ومروءة وتعاون.

وهى تحذير من الخطر الذى يتهدد الأمة عندما يضيع الحق ويقهر المظلوم ويعدم الفقير .. فلا مال ولا بيت ولا أمان .. إنها تنبيه للملك من أن أحوال العباد فى حاجة إلى العدالة واليقظة والضمير حتى يسترد المظلوم والفقير حقه وتصل السفينة عبر نهر العدالة إلى بر الأمان.

(٦) الرسالة السادسة جاء فيها :

أيها الملك العظيم : أنظر كيف انهارت العدالة تحت قدميك وأنهار سقف العدالة ليتساوى بالأرض.

لقد سقطت كفتا الميزان الذى تحمله فكيف ستصل إلى الحق وميزان العدالة قد اختل وهو بين يديك.

أيها الملك العظيم : أن القضاة يسرقون ولا يصاحبون غير أهل الظلم ويغلقون أبوابهم ويسدون آذانهم أمام المظلومين وإذا سرق القاضى عم الفقر البلاد وإذا هربت العدالة عم البلاد الفساد.

أيها الملك العظيم : أن كبار الموظفين يأتون السيئات ولا يمدون يدهم لمساعدة الفقراء وصغار الموظفين يمدون يدهم بالرشوة يغتصبونها من الفقراء المحتاجين.

أيها الملك العظيم : أنت مسئول عن كبار أشرافك ومسئول عن رعاية الفقراء ونشر العدالة بين الناس فأسأل عن سبباً لفساد قضائك ، فالكذب مرعاهم الخصيب

وقلوبهم عامرة بالـــهوى ولا وقـــت عندهـــم لســـماع صوت الفقير وإنصافـــه.

أيها الملك العظيم : ليس فـــى محكمـــة عدالـــة الأرض مكـــان لســـماع شكوى الفقير ، ومحكمـــــة الســـماء هـــى المحكمـــة الوحيدة التى عليه أن يتقدم بشكواه ليرفعـــها إليـــها.

تعقيـــب :

في هذه الرســـالة عتـــاب شـــديد مـــن "إنبـــو" موجـــه للملـــك الحكيـــم "خيتـــى" والقاضى "رنس" وفيها أيضا وصـــــف دقيـــق لموقـــف القـــاضى ورجـــال القصـــر مـــن الرعية وأصحاب الحاجات وفيها أيضا اتهام واضح لكـــل مـــن يتخلـــى عـــن المســـئولية بحكم وظيفته فيخون الأمانة وفيها أيضا إشارة إلى أهـــم أســـباب الفســـاد وانـــهيار حالـــة الاستقرار والأمن وفـــى مقدمتـــها انتشـــار الرشـــوة والظلـــم واختـــلال مـــيزان العدالـــة والتميز الطبقى – فالقادر والغنى لا يســـاعد الضعيـــف والفقـــير ، فـــالكل يتخلـــى عـــن مسئوليته ابتداء من الحـــاكم حتـــى صغـــار الموظفيـــن المرتشـــين والقضـــاة .. ليؤكـــد "أنبـــو" أن اختلال ميزان العدل وانتشار الســـرقة والرشـــوة والخيانـــة وانتشـــار المفاســـد وسؤ الخلق مقدمات لانهيار الدولة والحكم. وبعدها تـــهرب العدالـــة مـــن الأرض ويعـــم الفقر والفساد ويلجأ الفقراء إلى محكمة الســـماء وحدهـــا.

(٧) الرسالة السابعة جاء فيها :

أيها القاضى : إن الموت يدرك الغنى والفقـــير علـــى ســـواء.

فلا تظن إنك خالد فالخلود يبـــدأ بعـــد خروجـــك مـــن محكمـــة الآخرة وفيها ميزان عدالة الســـماء.

أيها القاضى : لا دوام للكرسى الذى تجلس عليـــه ، فقـــد جلـــس عليـــه مـــن قبلك وسيجلس من يأتى بعـــدك.

أيها القاضى : إذا غرقت سفينة العدالة فكيـــف تعـــير النـــهر هـــل تـــرى أن نعبره بأقدامنا وهل ذلك ممكـــن.

أيها القاضى : إن البستانى الذى يروى أرضه بــالخبث ويزرعــها بالشــر لا يحصد إلا البهتان ولا ينتج لبستانه ســوى الرذائــل .

أيها القاضى : لا أمان لمن لا يكترث بالناس ولا صديــق لمــن يصــم أذنيــه عن الحق . ولا سعادة لمن عاش علــى الجشــع.

أيها القاضى : لا تغمض عينيك عما تعــرف ولا تتجــاهل مــن يقصــدك ولا تنهر من استجار بــك.

تعقيــب:

فى هذه الرسالة تحدث "إنبـــو" عــن عدالــة الســماء التــى لا تفــرق بيــن حاكم ومحكوم أو غني وفقــير ومثــال تلــك العدالــة المــوت بوصفــه القــدر المحتــوم العادل الذى يؤكد أن كل مخلوق لابــد أن يفنــى وأن الخلــود لا يكــون إلا مــع البعــث فى الحياة الآخرة وبعد الحساب حيث تطبيق عدالــــة الســماء.

وتحدث أيضا عن سنة التغير بيــن الأحيــاء والأشــياء وأن المنــاصب الدنيويــة لابد أن تزول وتتغير فلا يبقى رئيس فى مكانــــه ولا حــاكم أو مسـئول فــالكل لابــد أن يتبدل والعدل وحده الباقى والمنقذ ، فإذا غرقــت ســفينة العدالــة فــلا ســلام ولا أمــان ولا استقرار ولا بناء ولا نجاة للفــرد أو الجميــع.

وأكد "إنبــو" أن حقيقة الشر والخير فــى عمــل الإنســان وهــى نــاتج النيــة والقصد والعمــل وأن فــى الخــير الأمــان والســعادة وفــى الشــر والجشــع الخــراب والدمــار.

وكل هذا تحذير من "خــون إنبــو" للقاضى مــن ســؤ العاقبــة فــى الآخــرة والندم فى الدنيا فى إشارة إلــى أن العــدل هــو طريــق الخــير وأن حســن الاســتماع وسرعة الاستجابة له أفضل من العناد والطمــع فالســعادة مــع الصــدق والخلــود مــع الحق والنجاة مع العــدل.

(٨) الرسالة الثامنة جاء فيها :

أيها الملك العادل ظل الإله في الأرض :

كما أن الأب مسئول عن أولاده فالكبير مسئول عن الصغير والحاكم مسئول عن المحكوم ، والرئيس مسئول عن مرءوسيه ولو شاء الإله لجعلهم على درجة واحدة وبذلك حياة المجتمع.

أيها الملك العادل ظل الإله في الأرض :

إن الظلم ظلام القلب الذى يفتقد به الحاكم النور الذى يرى به المظلوم أو يرى نفسه ولا يرى الإله الذى لا تغفل عينه عن مراقبة أعماله ووضعها فى ميزان الحساب.

أيها الملك العادل ظل الإله في الأرض :

إن همس المظلوم أعلى صوتا من صراخ الظالم إذا تغلب الشر على النفس أصبح الإنسان أسيرا لهواه وعبدا للغرائز .

تعقيب :

هذه الرسالة دارت حول المسئولية ودرجاتها وأهمية عدالة القضاء ..

وفيها حدد "خون إينو" القواعد الأخلاقية وكيفية تحصيل الخير كقيمة دائمة تشعر الفرد بالسعادة فالسعادة لا تتحقق بالشر والظلم بل تتحقق مع الخير والعدل ويقظة الضمير وحصول الرضا النفسى.

كما حدد "إنبو" أقسام المسئولية حسب الحجم والقدر فمسئولية الحاكم والأب أخطر وأعظم لأنها مسئولية الحساب ورفع الظلم وتحقق العدل ، وهذه المسئولية تتطلب دوام المراقبة والمتابعة والمساواة بين الجميع ومراقبة الإله ويقظة الضمير. فكل ذلك من الخير أما الشر فهو مرض عضال يصيب النفس ويجعل الإنسان عبدا للهوى والشهوة.

كما تثبت مدى عمق الإيمان الشعبى بالبعث والحساب والجزاء وأن الخلود والسعادة الحقيقية ليست فى عالم الدنيا بل فى عالم الآخرة حيث المثل الخالدة للعدل والحق

والحساب الدقيق من الإله العظيم العادل الذى لا تغفل عينيه عن مراقبة أعمال البشر ومجازاتهم عليها فى الدنيا والآخرة.

(٩) الرسالة التاسعة جاء فيها :

أيها القاضى "رنس" : لا تكن بطيئا وعجل بقضاء الحق.

أيها القاضى "رنس" : لا تتحيز ولا تطع قلبك ولا تتجاهل من يقصدك.

أيها القاضى "رنس" : لا تغمض عينك عما تعرف ولا تنهر من إستجارك فلا أمان لمن لم يكترث بالناس ، ولا صديق لمن يصم أذنيه عن الحق ، ولا سعادة لمن عاش على الجشع.

أيها القاضى "رنس" : أنظر إننى قد تقدمت بشكواى فلم ينصت إليها أحد ولم يعد أمامى إلا أن أتقدم بشكواى إلى "أنوبيس" إله الموت ليرفعها إلى "أوزوريس" قاضى محكمة الآخرة إنى الآن متلهف إلى الموت بعيدا عن العيش مع الأحياء.

تعقيب:

هذه الرسالة الأخيرة والتى عبر فيها "إنبو" عن مشاعر اليأس والرجاء فى إنهاء مشكلته وحصوله على جميع حقوقه -- كما عبر عن أمله فى أن يستجيب القاضى لمطالبه والحكم بأحقيته فى ماله وتجارته وأراد أن يستحثه بدوافع العقل والحكمة والموضوعية ، فالموت أهون عليه من البقاء والعيش مع هؤلاء الأحياء الذين صموا آذانهم وقلوبهم عن العدل والحق .. وكانت صراحة "خون إنبو" مع القاضى "رنس" وشجاعته وما سجله فى رسائله من حكمة وموعظة وراء إسراع القاضى بالرسائل إلى الملك "خيتى" الذى عرف بحكمته وحبه للعلم والمعرفة ، فقرأ الملك الحكيم رسائل "إنبو" وأدرك صدقه وصراحته وما فيها من حكمة وبلاغة ومعرفة بدوافع الفساد والظلم وكيفية معاملة القضاء والوزراء لأصحاب الحقوق والفقراء وكانت عدالة الملك وإحقاق الحق غاية تحققت على يد الملك الذى أمر "رنس" بإحضار سجل الضرائب الخاص بالناحية التى يقطنها "خون إنبو" وأمر بالتحقيق مع "تحوتى نخت" وحصر أملاكه وما طرأ عليها من تضخم ، ثم أمر بعقابه وأن

تسلم ثروته للقروى الحكيم صاحب الحق ورد جميع ممتلكاته وبضاعته التى استولى عليـــها "تحوتى نخت" وعادت دوابه محملة بالبضائع والهدايا التى قدمها له الملـــك جـــزاء صدقـــه وحكمته وشجاعته[1].

---

[1] راجع حوارات إنبو فى :

- الكاتب المصرى : سيد كريم ص ١٨١ - ١٩٢.
- الشرق الأدنى القديم حـ ١ د. عبد العزيز صالح ص ٣٩٤ - ٣٩٧.
- مصر الفرعونية د. أحمد فخرى ص ١٨٠ - ١٨٤.

إخناتــون A K HENATON
1382 - 1340 ق.م

أولا- نشــاة إخناتــون الفكريــة:

نشأ إخناتون فى بيت علم وملك وحكمـــة فوالــده هــو الملــك "امنحوتــب الثــالث" الذى حكم مصر حوالى ســتة وثلاثيــن عامــا بيـن ١٣٩٧ إلــى ١٣٦٠ ق.م وأشــتهر بقدرته على تحقيق الاســتقرار والأمــن ، وســمى عصــره بعصــر الرخــاء والنهضــة الفنية والمعماريــة.

وإخناتون هو الملك "امنحوتب الرابع" الذى تولــى الحكــم فــى أخــر أيــام والــده وأدرك أسباب الضعف والقوة ، ومساوئ الانغمــاس فــى حيــاة الــثراء واللــهو ، كمــا أدرك خطورة تعدد الآلهة وانتشار الأساطير والسحر والاعتمــاد علــى الخيــال.

ويعتبر "إخناتــون" أشــهر ملــوك الأســرة الثامنــة عشــر التــى بــدأت بعصــر التحرير بقيادة الملك أحمس عـــام ١٥٧٠ ق.م وانتــهت بــآخر ملوكــها "حــور محــب" عـــام ١٣٠٨ ق.م .

وقد استمر "إخناتــون" ملكاً متوجا على عـــرش مصــر حوالــى واحــد وعشــرين عاماً منذ عام ١٣٦٧ إلــــى ١٣٤٦ ق.م.

ومنذ توليه الحكم اهتم بإصلاح شئون البــلاد الداخليــة والخارجيــة وكــان الإنســان والمجتمع محور هذا الاهتمــام ، وأدراك أن الإصــلاح يتطلــب موقــف حــازم ومنــهج متكامل يشمل جميع الشئون السياسية والخلقيــة والاجتماعيــة والدينيــة.

ومن أجل ذلك كان له موقفة الحاسم من الكهان ورجــال الديـن الذيـن دأبــوا علــى التدخل فى شئون الحكم واســتغلال النفــوذ والســلطة فــى تحقيــق الــثروة والســيطرة الفكرية على عقول العامـــة.

وترجع شهرة "إخناتــون" إلى موقفـــه مـــن تعــدد الآلهــة ودعوتــه إلــى التوحيــد الخالص وما قدمه من أراء فى الحيــاة والمــوت والحكمــة والديــن ، ومــا حققــه مــن

إصلاحات فى مجال الأخلاق والاجتماع ، ونجاحه فى القضاء على العديد من الخرافات والأساطير المتوارثة ، وكان نجاحه فى تدعيم القيم الخلقية والدينية وراء تسميته بالملك الفيلسوف.

ثانيا - فلسفة إخناتون الدينية ونتائجها العملية :

تميزت فلسفة اخناتون بخاصية الشمول لحقائق الوجود الإلهى والإنسانى والاجتماعى، وأنها عبرت بصدق عن اهتمام الإنسان بالتقاليد الراسخة والقيم الخلقية والجمالية وفى مقدمتها العدل والخير والحب والصبر والوحدة والالتزام ، وقد ظهر هذا بوضوح من خلال حرص إخناتون على التطبيق العملى لهذه الآراء فى مختلف المجالات السياسية والخلقية والاجتماعية والفنية.

كما تميزت فلسفته بخاصية البحث الميتافيزيقى من خلال اهتمامه بأصل الحقيقة أيا كان مصدرها أو مجال تطبيقها وخاصة المجال الإلهى فكانت الحقيقة هى وحدانية الإله الذى لا شريك له ولا شبيه له لأنه منزه عن الجسمية والمادية والصورة البشرية.

لذلك بدأ "**إخناتون**" دعوته بتحديد ملامح وصفات الإله الواحد الذى يجب أن يتوجه إليه الجميع بالعبادة **فقال**: إنه "**آتون الواحد**" الذى لا شريك له ولا محل لتعدد الأرباب فيه أو الربات إلى جانبه ليس هو "**أمون**" ولكنه "**آتون**" الذى يرمز إلى وحدانيته وتفرده بقرص الشمس الذى يعطى القوة والحياة والنماء الذى لا يميز فى عطائه بين كائن وآخر الذى يعرف الأسرار وحده ويهيمن على الوجود بكيانه ويضع كل شى فى مكانه.

وقد ترددت هذه المعانى فى أذكار "**إخناتون**" التى جاء فيها أيها الإله الواحد الذى لا شبيه له ما أعظم أعمالك التى عملتها إنها خافية على الناس ... لقد خلقت الدنيا كما شئت عندما كنت وحدك.

الناس والماشية والوحوش الضارية وكل ما على الأرض يسعى على قدميه وكل ما يرتفع فى السماء ويطير بجناحه. إنك تضع كل شى فى مكانة إنك

أنت الذى تمدهم بما يحتاجونه .. ويحصل كل شخص على طعامه وسنوات حياته مقدرة لـه.

ويؤكد "**إخناتون**" على صفات آتون الإله الواحد وقدرته ووجوب طاعته وتنزيهه عن المادة والجسمية والصورة فلا يرمز إليه بحيوان أو إنسان ، إنه "**آتون**" الذى يشهد الناس آياته دون حجاب (**كشعاع الشمس**) ولهم أن يعبدوه حيثما سقط من كوكبه على الأرض شعاع.

وإلى جانب ذلك يجب أن يتميز بصفات ليست فى البشر كالخلق والرعاية والقوة والحياة والجلال والبهاء والعظمة والبقاء ... فيقول "**إخناتون**" فى مناجاته : أيها الإله يا من تتجلى فى آفاق السماء.. أنت البديع .. أنت آتون الحى وأصل الحياة ... أنت البهى ... أنت الجليل ... أنت العلى فوق كل الأرض[1].

وتتكرر هذه المعانى فى تعاليمه وأذكاره **فيقول** : "أنت تطلع ببهاء فى أفق السماء - يا آتون الحى يا بداية الحياة عندما تبزغ فى الأفق الشرقى .. تملأ الدنيا بجمالك.

أنت جميل وعظيم .. أنت متلألئ وعالى فوق كل البلاد وتحيط أشعتك بالأراضى كلها التى خلقتها ... لأنك أنت رع.. بالرغم إنك بعيد فان أشعتك على كل الأرض ، وبالرغم إنك أمام عينهم فلا يعرف أحد خطوات سيرك[2].

ورأى إخناتون أن البشر يجب أن يعتقدوا بهذه الصفات وأن يتعبدوا ويناجو الإله بها فذلك الواجب لأنه الإله الذى يعلو جميع الكائنات والقادر على تحقيق الأمن والحياة لجميع البشر. لأنه هو الذى خلق الجميع على اختلاف ألسنتهم وألوانهم ومواطنهم وتكفل بأرزاقهم وحمايتهم وكان معجزا حين وهب

(٢،١) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ص ٣٢٤ - ٣٢٥.
د. نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم جـ ٢ ص ١٠٣ - ١٠٤.
د. محمد عبد اللطيف : فكرة الخلق فى مصر القديمة ص ٣٣٤.
د. فتحى العقيل : إخناتون الفرعونى ط ١٩٩٣ م : ص ٤٢ - ٤٣.

مصر فيضانا من الخفاء **(آى العدم)** كريما جـوادا حيـن وهـب غـيرهم فيضانــا مــن سحب الســماء.

ويستنتج "**إخناتــون**" من هذه الدلائــل والصفــات دليــلا عقليــا علــى وجــوب وحدانية الإله ووجوب عبادته **فيقــول** : "مــادام الخــالق الــرازق واحــدا رحيمــا هنــا رحيما هناك ، جوادا هنا جوادا هناك لا تفرق أشــعته بيــن فــرد وآخــر فلــم لا يجتمــع الناس على عبادته كما اجتمعوا على النفــع منــه.

وتظهر مثالية "**إخناتــون**" واضحة فــــى أذكــاره عندمــا يصــف "**آتــون**" إلـــه الشمس بأنه عظيم الرحمة بجميع خلقـــه وأنـــه كــالأم والأب فــى رحمتــه وأن عظمتــه تكون فى استقلال قدرته وإرادته وحبه وعطفه علـــى جميـــع مخلوقاتـــه التـــى يجـــب أن نتوجه إليه بالعبادة والشكر والعرفان فيقول فـــى أذكـــاره[1]:

أيها الإله الأوحد الذى لا شبيه لـــــه.

الزهر ونبت الأرض يتفتح لمرآك وتتملكه النشـــــوة لمحيـــاك.

والأنعام تـــتراقص علـــى أقدامـــها والطيـــور فـــى أوكارهـــا تطـــوى أجنحتـــها وتنشرها تسبيحا "**لآتـــــون**" الحـــى خالقـــها.

والأرض بأسرها عامرة بحب الإلـــه وكذلـــك العشـــب والشـــجر حيـــن يتمـــايل لمرآى أنوارك والأسماك فى الماء تـــــتراقص لرؤيتـــك.

---

(١) Sand man : Texts from the time of AKHENATON (1938)

هذه الأذكار والتسابيح عرفت بالنشيد الكبير لإخناتون وهو عبارة عن أدعية وصلوات وتعاليم كان يدعـــو إخناتون قومه إليها وكان يتعبد بها وهو فى محرابه فى رحاب الكرنك.

راجع : د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية – ص ٣٢٤ – ٣٢٩.

د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم جـــ ١ ص ٣٦٣– ٣٦٤.

د. علاء حمروش : تاريخ الفلسفة الشرقية ص ٢٣.

ولقد كان لهذه الآراء فى الألوهية والتوحيد العديد من النتائج الإيجابية منها :

١. تحقيق وحدة الفكر والاعتقاد والقضاء على فكرة التعدد وتغلغل الفكر المادى وعبادة ظواهر الطبيعة والتى كان يتزعمها الكهان وأتباعهم الذين كانوا يعتقدون ضرورة التعبد لجميع الآلهة مع الاعتقاد بوجود الإله العظيم الذى فوقهم وهو "رع" أو "آمون" بوصفه كبير الآلهة.

وهذه الآلهة هى :-

- الإله الأعظم "رع آمون" إله الشمس.
- الإله "تينوت" إله الفراغ.
- الإله نوت إله السماء.
- الإله إيزيس إله العدالة والمحبة الأرضية.
- الإله نفتيس إله القاحلة والقحط.
- الإله سوا إله الهواء.
- الإله جيب إله الأرض.
- الإله أوزير إله النيل والحساب.
- الإله ست إله الصحراء .

وعلى ذلك كانت حقيقة الألوهية الواحدة والتعبد لإله واحد أكثر إقناعا مما كان يقدمه الكهنة ، وأثبت عمليا وعقليا أن الولاء لأرباب عديدين هو الضلال والجهل بعينة، ونبه الناس إلى أن التعدد يبيح لكل ذى سطوة أو سلطان أو قوة خارقة أن يؤلهه الناس ويقدسوه ، بالإضافة إلى خطر الفرقة والانقسام من تعدد الآلهة وتوزيع الولاء والانتماء وتعصب كل أقليم للإله الخاص به.

٢. تعميق الشعور الدينى بمقدرة الخالق الأحق بالعبادة والتقديس على الأحياء والبعث والخلود والحساب ، لأنه وحده الذى يملك الإرادة والسيادة والعلم والحياة ، وهذا ما عبرت عنه تعاليم إخناتون صراحة حين **يقول** :

أيها الإله الأوحد الذى لا شبيه له .. أنت الذى خلقت نيلا فى ذلك العالم الآخر .. وأنت الذى يأتى به عندما تشاء ليفيض على الناس .. وذلك لأنك أنت الذى خلقتهم لأجل نفسك وأنت سيدهم جميعا ، سيدهم الذى يشغل نفسه من أجلهم .. أنت آتون

شمس النهار عظيم البهاء .. أنت عظيم بأعمالك كلها أنــت خلقــت الدنيــا كمــا شئت عندما كنت وحدك ، وأنت تضع كل شى فى مكانه.

٣. إخضاع التدين لإعمال العقل وحجـــج المنطـــق والدليـــل ، وفـــى هـــذا اســـتطاع "إخناتـــون" بأدلة العقل بيان مدى الاختلاف بين "آتون وآمـــون رع" مـــن حيـــث الصفات والتنزيه عن المشابهة والجسمية ، ومن حيث الأدعية والأذكار التى يجـــب التعبد بها.

وأثبت أنه لا يمكـــن تصـــور الإلـــه علـــى هيئـــة محسوســـة ســـواء بشـــرية أو حيوانية لأن ذلك نوع من التمويه والخطأ والبـــهتان لأن الإلـــه يجـــب أن يكـــون القادر الذى لا يضعف والدائم الـــذى لا يغيـــب والخـــالد الـــذى لا يفنـــى ، وهـــو الذى لا تعدد فيه ولا جسمية وهو المتحكم فـــى جميـــع الكـــون والراعـــى لجميـــع المخلوقات وهو وحده المحاسب علـــى الأعمـــال.

وبعد تحقق القناعة العقلية بالوحدانية أوجب "إخناتـــــون" اســـتخدام كلمـــة الإلـــه مفردة وإلغاء كلمة الآلهة أو الأربـــــاب.

كما أمر بنـــزع اسم "آمـــون" وإخفاء معالمه حتى لا يعـــــود أحـــد للاعتقـــاد بـــه أو بأى آلهة أخرى ، كما أزيلت أسماء الآلهـــــة مثـــل "بتـــاح وحتحـــور وأوزيـــر وإيزة ومونتو وجيب" كما محيى اسم النـــــور المقـــدس[١].

٤. القضاء على العديـــد مـــن العـــادات والخرافـــات والشـــعوذات وأعمـــال الســـحر وصناعة الدمى والتماثيل الصغيرة التى كانت تـــدر ربحـــا وفـــيرا علـــى الكهنـــة ورجال الدين لاعتقادهم بأنها يمكن أن تـــؤدى الأعمـــال بـــدلا مـــن الميـــت عنـــد

---

(١) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم جـــ ١ ص ٣٦٣.
وفتحى العقيل : إخناتون الفرعونى ص ١٩ – ٢٦.
سعيد توفيق : استخدام الحاسب الإلكترونى فى ميدان الآثار تجربة معبد إخناتون مجلة كلية الآثار يناير ١٩٧٦م).

الحساب أو بعد الموت فى الحياة الآخرة ، وحل محلها الدعوات والأذكار التى تمجد الإله الواحد وتصور آيات القدرة الإلهية.

٥. القضاء على دعائم الفكر الأسطورى المتوارثة والتى كانت تعطى أوزير مكانة غير عادية ، وقد أكد ذلك العديد من الباحثين والمؤرخين فى مقدمتهم جيمس هنرى برستيد ، ويؤيده كل من هول وأرثر .

وذكر برستيد أن "إخناتون" أول رجل مثالى فى تاريخ العالم لأنه صاحب أول نظرية فى التوحيد الخالص ، وأن إيجابية دعوته تتمثل فى قدرته على إزالة كومة كبيرة من الخرافات غير الرشيدة وإنه نجح عمليا فى إصلاح مجتمعه والقضاء على العديد من الأساطير المتوارثة مثل القول بأن النيل هو "أوزير" ، وأن الفيضان يرجع إلى غضب الآلهة وقوى الطبيعة وبعض الحيوانات المسيطرة.

٦. التأثير القوى فى الحياة الفكرية والدينية لمعظم شعوب منطقة الشرق فى آسيا وشمال أفريقيا ، ويؤيد هذه الحقيقة كل من جون ويلسون ، وجورج ساراتون وكذلك والس بيدج وبرستيد وغيرهم من الباحثين ورجال التاريخ والآثار.

أكد هؤلاء على أهمية أفكار "إخناتون" ودوره فى تعميق الشعور بعبادة الإله الواحد ، وأنه لم يكن يتعبد لقرص الشمس بل إلى القدرة التى وراء هذا القرص ، ومن ثم كانت دعوته قمة التطور فى الفكر الديني قبل عصر الرسالات "أنبياء اليهود".

وذكر برستيد أن عقيدة "آتون" التى نادى بها "إخناتون" كان لها أثرها الإيجابى فيمن جاء بعده من مفكرين وموحدين. ودليل ذلك ما وجد من تشابه كبير بين أدعية "إخناتون" وما كتب فى التوراة عن الإله والبشر وخاصة المزمور رقم [١٠٤]. كما أشار إلى منطقية الأدلة التى أوردها

"إخناتــون" على وحدانية الإله وقدرتـــه ، وأن التوحيـد الخــالص القــائم علــى تنزيه الإله كان حقيقة عالمية عرفتـــها الإنســانية[1].

وأشار "جورج ساراتون" إلى مــدى نجــاح "إخنــاتون" فــى هــدم الكثــير مــن المعتقدات الباطلة والأفكار الخاطئـــة عــن الألوهيــة والاعتقــاد بقــوى طبيعيــة وحيوانية وآثر ذلك فـــى توجيــه ســلوك البشــر ، وقــال إن إثبــات الوحدانيــة والقدرة فى أدعية "إخنــاتون" تجعلنــا نصــرح بــأن "إخنــاتون" قــد أدرك مــن وجود الإله قدر ما نستطيع نحن أن ندرك مـــن وجــوده.

وهذا الرأى أيضا يؤيده "والس بيدج" ويشير إلـــى نجــاح "إخنــاتون" فــى نشــر الوحدانية ويقـــول : "إن الفكــر الدينـــى القــائم علــى التوحيـد عــرف قبــل إخناتون وأن الوحدانية التى كان يدركها المصريــون قبــل عصــر إخنــاتون لــم تكن وحدانية تفكير ولكنها وحدانيـــة تغليــب"[2].

ولاشك أن وحدانية الإلـــه وتنزيهــه عــن المشــابهة والجســمية التــى ظــهرت واضحة فى تعاليم "إخناتــون" قد أثـــارت العديـد مــن البــاحثين منــهم العقــاد الذى رأى أن توحيد "إخناتــون" يعتمد علـــى التنزيــه المطلــق للإلــه وأن هــذا

---

(1) J.H. Breasted : ACITY of EKHENATON in Nobia, 1902 P. 109 – 110. J.H. Breasted : The Dawn of Conscience. N.Y. 1939 P. 28 – 103.

د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم جـ ١ ص ٣٦٠ – ٣٦٢.

وعباس العقاد : مطلع النور ط ١٩٦٨م : ص ٩٦.

(2) Gorge Saraton. The history of Science and the New humanism, NEW YORK '1956'.

L.A. White: AKHENATON, The Great man and the culture, Process in Jars L.X. Vill 1948.

J.A. Wilson; The Burden of Egypt. Seconed imp 1954.

مترجم : بعنوان الحضارة المصرية

J.A. Wilson; The culture of A ncient Egypt. Chicago, 1963 P. 211 – 213.

د. فتحى العقيل : إخناتون الفرعونى ص ٣٤ – ٤٢.

د. نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم جـ ١ ، ص ١٩٣ – ١٠٤.

التنزيه هو قمة العبادة والمعرفة بحقيقة الإله وأن العبادة التى دعى إليها "إخناتون" منذ ثلاثة وثلاثين قرنا كانت غاية التنزيه فبلغت دعوة التوحيد به أعلى مرتقاه وبلغت بتنزيه الإله غاية لم يدركها حتى اليوم كثير من الأمم فى البلاد الشرقية أو الغربية.

وذكر الدكتور مصطفى محمود فى كتاب الله إن التوحيد على يد "إخناتون" قد وصل إلى ذروة النقاء والتجريد.

ثالثا - فلسفة إخناتون الأخلاقية والاجتماعية :

ظهر اهتمام "إخناتون" بالإنسان والأسرة مبكرا ، أى منذ قبل توليه الحكم وتأمله فى واقع الإنسان وما يعترضه من عوامل وما يواجهه من شرور وأخطار ، وحين أدرك أهمية القيم والعادات فى تشكيل سلوك الفرد كما أدرك أهمية المعتقد فى تكوين شخصية الفرد وتوجيه فكره وسلوكه وقد ظهر ذلك بوضوح من خلال مواقفه العملية تجاه مصادر الشر وسوء العادات المتوارثة.

ومنذ توليه "إخناتون" الحكم وبداية دعوته للتوحيد ظهر مدى اهتمامه بالقيم قدر اهتمامه بالحقيقة وبناء الإنسان ، والتأكيد على الترابط الوثيق بين عالم الألوهية وعالم البشرية رغم تنزيه الإله واختلاف الصفات بينهما.

ففى مجال البشرية كانت الحقيقة هى الالتزام بمبادئ التعاون والعدالة وفق مبدأ الحق والمساواة. ولتطبيق ذلك يجب أن تسمى الأشياء بأسمائها فذلك عنده هو الحق والصدق وألا يلجا الناس إلى النفاق والمداهنة فذلك هو الكذب والخداع .

وهو يرى أن الأصل هو التساوى وأن الحق فى الصدق والعدل وأن الاختلاف البشرى فى اللغة والفكر وفى اللون وفى الطبائع هو أمر فطرى لأن هذا التميز مرجعه لأمر إلهى وحكمة بالغة هى إثبات قدرة الخالق وعظمته ، ولولا هذا الاختلاف والتميز لما استمرت الحياة.

ويعبر "إخناتون" عن هذه المعانى حين يقول فى تعاليمه : "يختلف الناس فى لغاتهم كما يختلفون أيضا فى طباعهم". ويمتازلون جلودهم عن بعضهم

البعض ، لأنك أنت أيها الإله العظيم ..الذى يميز أهل الأمم الأجنبية. أنت الذى خلقت نيلا فى ذلك العالم الآخر ، وأنت الذى يأتى به عندما يشاء لتبقى على الناس ، وذلك لأنك أنت الذى خلقتهم لأجل نفسك وأنت سيدهم جميعا – سيدهم الذى يشغل نفسه من أجلهم.

وتظهر فلسفة "إخناتون" الأخلاقية والاجتماعية واضحة فى قدرته على إظهار الصلة بين صفات الإله وأفعال البشر، وإنه ليس هناك تناقض بين وصف الإله بالرحمة والعدل والعطف والحب لأنه المحبوب فى كل أمره والعطوف بجميع خلقه ومن أجل ذلك كان خلق الكون عن هذا الحب وهذه الرغبة. فإذا كان الإله فى صفته وفعله هكذا فقد وجب على البشر أن يكونوا كذلك أى يجب أن يتحلوا بهذه الصفات وأن تظهر هذه الصفات فى جميع أفعالهم.

ويرى "إخناتون" أن صفة العدالة هى أبرز صفات الإله ، لأن عدالته قد استوجبت أن ينتفع القريب والبعيد بفضله ونعمته ودفئ شمسه ، كما استوجبت أيضا أن يتحلى الحاكم بوصفه خليفة الإله بالعدالة لتصبح وظيفته الخلقية التى بمقتضاها ينتظم الحكم وتستقيم الأمور . ويؤكد "إخناتون" أن العدالة تستوجب الوحدة والمساواة أى وحدة الفكر والاعتقاد ووحدة الإله ، وكان هذا المعتقد وراء مواقفه الإصلاحية لتصحيح المعتقدات والعادات القبلية التى أفسدت الحياة الاجتماعية وأضعفت الدولة وأدت إلى الفرقة والاختلاف وفى مقدمتها :

١. تمسك كل مدينة أو أقليم بإله ورمز خاص يميزه على صورة حيوانية أو بشرية وجعلوا لكل إله أسرة وأبناء ، وكان كل أقليم يتعصب للإله الذى يخصه ويتعبد له وحده.

- فكان أوزير (أوزوريس) يعبد فى أبيدوس وكان له زوجة هى "إيسة" وابن هو حور.
- وكان "بتاح" يعبد فى ممفيس . وهو إله منف الكبير وكان على شكل إنسان برأس عارية واضعا يديه فوق صدره وممسكا بصولجان وكان له أسرة مكونة من "سخمت ونفرتم".

- وكان "آمون" يعبد فى طيبة وكان يرمز إليه بشكل بشرى وكان له أسرة إلهية مكونة من زوجة وأم وأبن ، وكان اسمه رمز للهواء والخفاء.

- وكان حور (حورس) يعبد فى إدفو .

- وكان "هاتور" يعبد فى دندرة.

- وكان "حتحور" يرسم برأس أدميه وقرنى بقرة رمزا للحنو والعطاء والأمومة.

- وكان "تحوت" يرسم بشكل الطائر أبيس (أبو منجل) رمزا للحكمة والذكاء.

- وكان "موت" يرسم برأس أسد رمزا للقوة والشجاعة والسيطرة.

- وكان "سوكر" يعبد فى منف أيضا ويرمز إليه برأس الصقر وشكل الإنسان رمزا للعلو والقوة والانقضاض.

- وكان "بتاح" رمزا للحكمة والعلم والمعرفة والصناعة.

- وكان "رع " رمزا للنور والضياء ، وهو إله الشمس الذى أنتشر عبر مختلف العصور وأستمر عبر الدولة الوسطى والحديثة وكان الملوك والأمراء ينسبون أسماؤهم إليه ، وكانت عبادته أكثر العبادات انتشارا واستمرارا. وقد تسمى الملوك به وانتسبوا إليه مثل (سوبك رع – أخر رع – تحوت رع – بتاح رع).

٢. خلط الكهان ورجال الدين بين عالم الأخلاق وعالم الموت والخلود فنقشت التعاويذ السحرية على الجعارين والدمى الصغيرة لكى تخمد وعى الضمير عند الميت المتهم وتساعده وقت الحساب .. وأن كلمات السحر تضمن براءة الميت بعد الموت وتحفظ جثته وتدافع عن ثروته وممتلكاته فى الدنيا كما تدافع عنه وقت الحساب.

٣. انتشار العادات السيئة الناتجة عن الاعتقادات الخاطئة في الخرافات والأساطير والشعوذات التي كان ينسبها الكهان للآلهة ، وما ينتج عن ذلك من تشتت الفكر وغموض للمقاصد وبعد عن العقل وغوص في غياهب الجهل والتخلف.

وكان موقف "إخناتون" هو الاعتماد على العقل والمنطق في إظهار الحقائق وإثبات أهمية وضوح المعتقد والوحدة الدينية والفكرية في كشف أخطاء الكهنة ومدى الخطر الذى يهدد الوحدة السياسية والاجتماعية نتيجة توزع الأقاليم وتعدد المعتقدات والآلهة وتشتت الفكر.

وفي هذا الإطار أنشأ "إخناتون" المحاكم الدنيوية لحساب المخطئ والمسيء ومن يتجاوز حدود العرف ويخرج عن الحق والعدل والنظام ، وأنشأ مجالس من الكتاب والحكماء لإدارة الاجتماعات والندوات لمناقشة المشاكل ومواجهتها عمليا بدلا من الركون إلى الخرافة أو السحر .

وجعل القوم يعتمدون على العمل والفكر ويتعبدون بالأدعية والأذكار التي تمجد الإله الواحد ، والتي تحث على فعل الخير في الدنيا وطلب المغفرة والرزق من الإله وحده ، لأن "أتون" هو الإله القادر وحده على تحقيق الرجاء والسعادة والحياة الخالدة ، كما أنه القادر وحده على توفير أسباب الرزق والطعام لجميع البشر ، إنه الإله وليس السحر والجعارين والخرافات.

إن ما كان يردده "إخناتون" في دعواته ويعلمه لأتباعه وينشره ليكون منهجا ومعتقدا لجميع البشر يعكس مدى نضج فلسفته وشمول فكره ومنهجه وأن الآراء التي ترددت في تعاليمه تمثل بحق قمة الفكر الديني والسياسي في عصر الدولة المصرية الحديثة في زمن الأسرة الثامنة عشر قبل الميلاد كما تؤكد على الأثر الاجتماعي وما نتج عن نجاح دعوته من تغير إيجابي في المعتقد والسلوك وتحرر الفكر وتحقق للوحدة الفكرية والسياسية فكان انتشار التوحيد من جهة مقدمة ضرورية للالتزام بمبادئ الخير والعدل والصدق ، كما كان سبيلا للقضاء

علـى العديـد مـن المسـاوئ الأخلاقيـة والمفاسـد الاجتماعيـة والعـادات السـيئة المتوارثـة.

رابعا - أدلة التوحيد عند إخناتـون :

١. دليل الوحدة.

أى أن الإله يجب أن يكون واحدا وتتجلـى وحـدة الإلـه فـى فرديتـه أى فـى كونه الإله الفرد المتميز بفرديته أى ليـس معـه سـواه فـى الملـك والألوهيـة وليس معه شبيه ولا نظير فـلا يشـاركه فـى قدرتـه ولا إرادتـه ولا عظمتـه أحد "سواه" وقد عبرت كلمات "إخناتـون" فى أدعيته عن ذلـك حيـن قـال :

" اللهم أنك أنت الإله الواحد الأحد الـذى ليـس معـه سـواه وليـس لـه مـن نظير ، برأت الدنيا وكنت فردا (أى خلقتـها) وخلقـت الأنعـام والبشـر وكـل ما يسعى على الأرض بقدم أو يحلق فى الفضـاء بجنـاح[١].

"اللهم إنك أنت الرب العظيم ، الواحد المحبـوب وأنـت الرحيـم أنـت كـالأب والأم لكل مخلوق ، لك أنت يسـبح البشـر والحيـوان والطـير والنبـات كـل منـهم بطريقتـه ، والزهـر ونبـت الأرض ينفتـح لمـرآك وتتملكـه النشـوة لمحياك والأنعـام تـتراقص علـى أقدامـها والطيـور فـى أوكارهـا تطـوى أجنحتها وتنشرها تسبيحا لآتـون الحـى خالقـها. والأرض بأسـرها عـامرة بحبك والعشب والشجر يتمايل لمطلع وجـهك والأسـماك فـى المـاء تـتراقص لرؤيتـك .

ودليل الوحدة الذى عرضه إخناتون فـى عقيدتـه يشـير إلـى الأثـر الإيجـابى لهذا المعتقد ، فوحدة الإله وتوحده تجمـع القلـوب والمشـاعر وتجمـع الأفكـار والمشارب ، وهو فى هذا يذكر الشعب بأثر الوحدة والاعتقـاد بـها فـى توحـد

---

[١] يمكن الاستدلال على ذلك بما جاء فى أدعية إخناتون وتعاليمه من أدلة على وحدانية الإلـه وقدرتـه ، ومدى الارتباط بين الصفات الإلهية والسلوك البشرى (راجع فى ذلك) أدلة التوحيد عند إخناتون

الشعب لتحقيق النصر على الهكسوس عندما أرجعوا النصر إلى آمون كإله عظيم وواحد هو رب الوجود وخالق البشر والأكوان .

وكان دور إخناتون هو التذكير بهذا الدليل وأهميته وأنه لم يأت بما يغاير المعتقد السليم والعرف. فكان "آمون" إله طيبة هو حور الأفق وكانت الأدعية والصلوات توحد بين أسماء الآلهة ، وكانت تصف الإله بالتفرد والعظمة وتقدم "آمون" على جميع الآلهة والأرباب في كل البلاد.

ودليل الوحدة عند "إخناتون" يؤكده الشعور الفطرى بضرورة تميز الإله فى وجوده عن باقى الموجودات ومن ثم تكون الوحدة هى الفطرة السليمة التى تتميز فى ميل الفرد الطبيعى نحو التوحد والتميز ، فالإله يجب أن يكون متميزا ومنفردا بصفات وأفعال لا يفعلها إلا هو.

ولا شك أن هذا الشعور الفطرى بوحدانية الإله كان مترسبا فى وجدان الشعب المصرى منذ بداية العصر الحجرى الحديث ومنذ نشأة الأسرات وظهور الديانات والرسالات وبعث الرسل والأنبياء الذين تواجد عدد كبير منهم على أرض مصر ابتداء من إدريس علية السلام وحتى موسى وعيسى ومحمد ﷺ[١].

٢. دليل القدرة والكمال:

ويتمثل فى محاولة "إخناتون" إثبات وحدانية الإله من خلال إثبات أن الإله الذى يملك القدرة والجبروت والإماتة والأحياء هو إله واحد ، وإن قدرة هذا الإله تتمثل فى كماله وعظمته وفى بقائه وخلوده وعموم قدرته.

ولأنه الواحد القادر فقد تعددت مظاهر قدرته لتشمل جميع الخلائق والكائنات واعترافها بذلك وأن تسبيحها له وشكرها دليل ذلك.

---

[١] راجع فى ذلك أنشودة الإله آمون (إله الشمس الأوحد) التى كتبها الأخوان سوتى وحور وسجلت فى صور ومناظر ونقوش ، وكان ينشدها الشعب فى صلواتهم واحتفاليتهم.

وبما أن القادر هو الذى يملك تصريف الأمور وحده لأنه لو كان ضعيفا لأحتاج إلى آخر ولذلك ، فلابد أن يكون القادر واحدا.

وبما أن القادر هو الذى يقدر على الخلق والإيجاد والابتداء والانتهاء والإماتة والإحياء ، فهذه القدرة لا تكون إلا لواحد لأن الذى بسط الأرض ورفع السماء هو المالك للأمور كلها والذى يضع كل شئ فى مكانه فلا ينازعه فى الملك أحد ولا فى هذه القدرة منافس.

وقد عبرت كلمات "إخناتون" بوضوح عن هذه المعانى حين قال : " أيها الإله الأوحد الذى لا شريك له. لقد خلقت الدنيا كما شئت ، وعندما كنت وحدك .. ما أعظم أعمالك التى عملتها إنها خافية على الناس .... الناس والماشية والوحوش الضارية وكل ما يسعى على الأرض بقدميه أو يرتفع فى السماء ويطير بجناحيه .... إنك أنت الذى يمدهم بما يحتاجونه ... إنك أنت الذى تضع كل شئ فى مكانه. إنك أنت الذى يجعل الناس جميعا يؤدون أعمالهم ... عندما يغسلون أجسامهم ويلبسون ملابسهم ويرفعون أذرعتهم ابتهالا عند ظهورك ... عندما تقتنع كل الحيوانات بمراعيها وتزدهر الأشجار والنباتات والطيور التى تطير من أعشاشها وتمد أجنحتها لتمدح قوتك.

عندما تقف الحيوانات على أقدامها وتسير السفن نحو الشمال والجنوب وتكون الطرق كلها مفتوحة بقوتك.

(٣) دليل الخلق والعناية :

ويتمثل فى إثبات قدرة الإله الواحد على الخلق والعناية والتدبير وأن الخالق لابد أن يكون هو الواحد لأن الخلق دليل على عظمة القدرة ورعاية الخلق منذ ابتدائه وحتى انتهائه دليل عنايته وحفظه لخلقه وللحياة التى وهبها لمخلوقاته. ويشير **"إخناتون"** إلى مظاهر قدرة الخالق وعنايته **حين يقول:** "أيها الإله الأوحد الذى لا شبيه له ... أيها الخالق لبذرة الحياة فى النساء .... إنك أنت الذى يجعل من البذرة السائلة إنسانا

..... إنك أنت الذى يعتنى بالطفل فى بطن أمه وأنت الذى يهدئه بما يوقف بكائه ، أنت الذى تعتنى به وهو فى الرحم ، وأنت الذى تعطى النفس ليحفظ حياة كل مخلوق ...

عندما ينزل الطفل من بطن أمه ليتنفس فى اليوم الذى يولد فيه تفتح فمه وتمده بكل ما يحتاج إليه ....

وعندما يصرخ الكتكوت فى داخل البيضة فأنت الذى تمده بالنفس فى داخلها ليعيش ، وعندما يتم خلقه داخل البيضة تجعله يكسرها ويخرج من البيضة وهو يصوصو إذا ما كان موعده ويمشى على رجليه عندما يخرج منها .....

وإذا كانت هذه كلها مظاهر للرعاية والعناية ودليل على أن الخالق هو الإله الواحد ، فان الخلق دليل على الصنعة ودليل على الصانع وأن المخلوقات صور صدرت عن الإله الواحد بمشيئته..... وهو يعبر عن ذلك فى تعاليمه حين يقول : "أيها الإله الأوحد الذى لا شبيه له .. لقد خلقت السماء البعيدة لتشرق منها وحتى ترى كل ما صنعت وذلك عندما كنت وحيدا تشرق فى صورتك "كآتون" الحى لامعا مضيئا فى مجيئك ورواحك ... أنت جعلت ملايين الصور من نفسك وحدها سواء كانت مدنا أو بلادا أو حقولا أو طريقا أو نهرا فإن كل عين تراك فوقها مشرقا لأنك "آتون" شمس النهار على الأرض.

"أيها الإله الأوحد الذى لا شبيه له ...أنت الذى صنعت الدنيا بيديك وخلقت الناس كما شئت إن تصورهم فهم يحيون عندما تشرق ويموتون عندما تغرب.

إنك أنت الحياة بعينها ويعيش الإنسان فقط إذا أردت تتعلق العيون بالجمال حتى تغيب ويترك الناس أعمالهم عندما تغرب فى الغرب ولكن عندما تشرق ثانية يزدهر كل شئ لأجل وجودك لأنك أنت الذى خلقت الأرض وأنت الذى خلقت جميع البشر.

وهكذا سعى "**إخناتـون**" لإثبات قدرة الخالق علـى التدبـير والرعايـة والخلـق والعناية بجميع المخلوقات وأن كل شئ فى الوجـود يحتـاج إليـه لكـى يوجـد ويستمر ويحيا ، وهو يكرر هذه المعـانى فـى أدعيتـه **فيقـول** : "أيـها الإلـه الأوحد الذى لا شريك له .. مـا أجمـل تدبـيرك رب الخلـود ... "**آتـون**" يـا ضوء النهار .. يا عظيم المجد يا أصـل الحيـاة .. بلدانـا نائيـة تهبـها الحيـاة إنك ترسل الغيث والأرزاق من أجلها على كل البـلاد يـأتى خـيرك .. مصـر العظيمة والشام (**خـارو**) والسودان (**كاش**) ... أيـها الإلـه الأوحـد الـذى لا شبيه له ..خلقت الجميع على اختـلاف ألسـنتهم وألوانـهم ومواطنـهم وتكفلـت بأرزاقهم ما أعظم أعمالك التى عملتها .. إنـها خافيـة علـى النـاس ... أنـت فى قلبى وليس هنـاك مـن يعرفـك غـير ابنـك "**تفرخـير ورع**" (**واع ابـرع**) لأنك أنت الذى خلقته عالما بمقصدك ومدركـا لقوتـك[1].

(٤) الدليل الكونـى

وهو عند "**إخناتـون**" يعنى أن الإله الواحـد خـالق الجميـع والرحيـم بـالكون كله ، والذى لا يفرق بين فرد وآخر وبلـد وآخـر لابـد أن يكـون هـو الإلـه الواحـد.

والإله الواحد هو الذى يجـب أن يتوجـه الكـون كلـه لـه بالتسـبيح والعبـادة فالكون كله لا يخضع إلا للواحد القادر على الإبـداع والخلـق والإحيـاء.

---

(١) **يمكن مراجعة هذه الأدعية فى كل من :**

١. د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم حـ١ ص٣٦٣ - ٣٦٤.
٢. د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ص٣٢٤-٣٢٩.
٣. د. علاء حمروش : تاريخ الفلسفة الشرقية ص٢٣.
٤. فتحى العقيل : إخناتون الفرعونى ص٣٣.
٥. نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم حـ١ ص١٠٣ - ١٠٤.

ومن ثم كانت دعوة "**إخناتون**" موجهة للإنسانية كلها ولم تقتصر على المصريين وحدهم ، وبالفعل شملت دعوة "**إخناتون**" كل البلاد وكان دعاؤه دليلا على ذلك حين يقول : أيها الإله الأوحد الذى لا شبيه له ... أنت خالق الجميع ، البشر والأنعام وكل ما يسعى على الأرض بقدم أو يطير فى الفضاء بجناح أنت خالق جميع البلدان والشعوب مثل سوريا والسودان ومصر ، تجليك فى أفق السماء بديع .. يا "آتون" الحى يا أصل الحياة .

أنت البهى وأنت الجليل وأنت المنير وأنت العلى فوق كل الأرض كلما غاب نور كوكبك أظلم الكون وأصبح كالموات وهجع الخلق وخيف النهب وأستشرى الوحش ودبت الزواحف.

وكلما أشرقت بنورك تبدل الحال غير الحال بأشعتك تتبدد الظلمة ويكفل الآمن ويتيسر السعى.

لك وحدك يسبح كل مخلوق البشر والحيوان والطير والنبات كل منهم بطريقته وتسبيحه..

والدليل الكونى يظهر واضحا عند تأكيد "**إخناتون**" على صفة الحياة للإله الواحد فالإله الواحد هو الحى الذى يهب الحياة لجميع المخلوقات وأن الإله يتجلى فى الكون كله لأنه هو الحياة نفسها وأنه مصدر الحياة فى الكون كله فى الطفل الجنين لأنه هو خالق الجنين وخالق النطفة التى ينمو منها الجنين وهو باعث الأنفاس الحية فى كل مخلوق ، وهو واهب الوجود والحياة ، وهو يعبر عن هذا حين يقول : "أيها الإله الأوحد الذى لا شبيه له". أنت الذى يعطى الحياة .. لأنك خالق الجرثومة فى المرأة وجعلت من هذه البذور أناسا وجعلت الولد يعيش فى بطن أمة مهدئا إياه حتى لا يبكى ومرضعا إياه حتى فى الرحم.

وأنت معطى النفس حتى تحفظ الحياة على كل إنسان خلقته حينما ينزل من الرحم فى يوم ولادته وأنت تفتح فمه وتمنحه ضروريات الحياة.. أنت

الذى يعطى الحياة لكل البلاد الأجنبية البعيدة لأنك خلقت نيلا فى السماء لينزل لأجلهم .. ويحدث أمواجا فوق الجبال مثل أمواج البحر لتروى حقولهم التى فى قراهم .. "ما أجمل أعمالك يا رب الأبدية... عندما تغذى أشعتك كل مرج .. وعندما تشرق تحيا وتنمو لأجلك وجعلت فصول السنة لتغذى بها كل ما خلقت فالشتاء يبرد أجسامهم والحرارة تجعلهم يحسون بك . لقد خلقت السماء البعيدة لتشرق منها وحتى ترعى كل ما صنعت .. وذلك عندما كنت بعيدا تشرق فى صورتك "كآتون" الحى لامعا مضيئا فى جيئتك ورواحك .. جعلت ملايين الصور من نفسك وحدها سواء كانت مدنا أو بلدانا أم حقولا أو أنهارا فإن كل عين تراك فوقها مشرقا لأنك "آتون" شمس النهار على الأرض.

أنت الذى صنعت الدنيا بيديك وخلقت الناس كما شئت أن تصورهم فهم يحيون عندما تشرق ويموتون عندما تغرب لأنك أنت الحياة بعينها. أنت الذى تجعل كل شخص يحصل على طعامه وسنوات حياته مقدرة له أنت الذى تجعل الناس يختلفون فى لغاتهم كما يختلفون أيضا فى طباعهم لأنك أنت الذى خلقتهم لأجل نفسك وأنت سيدهم جميعا ... سيدهم الذى يشغل نفسه من أجلهم سيد كل الأرض الذى يشرق لأجلهم فأنت "آتون" شمس النهار عظيم البهاء[1].

خامسا : أدلة نبوة إخناتون :

كانت نبوة "**إخناتون**" من مسائل الجدل بين رجال التاريخ والدين فمنهم من يؤكد نبوته وأنه كان أول نبى جاء به التاريخ والآخرون ينكرون ذلك

---

(١) El, Griffith; The Jubile of AKHENATON, 1918, P. 61-63.

Sayed Tawfik : Aton Studies, P. 167.

ويعدونه واحد من المصلحين أو الحكام الصالحين أهتم بتصحيح أمور الدين والمجتمع فقط

ويرى أصحاب الرأى الأول أن "**إخناتون**" قد أدى دوره كنبى مرسل حين حصر دعوته فى التوحيد الخالص نظريا وعمليا : نظريا فى فهم وتسجيل التعاليم وعمليا فى الالتزام بها ونشرها حتى إنه جعل التوحيد الخالص شعار دولته ودعا جموع الشعب إلى التعبد بتعاليمه. واستدلوا على أنه من كبار الموحدين بدعوته وسلوكه وشخصيته.... وأنه دعا بدعوة الأنبياء وهى وحدانية الإله لأن دعوة جميع الرسل والأنبياء واحدة وهى **[اعبدوا الله الواحد الأحد .. اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا]**.

- كما استدلوا على نبوته بصفاته الشخصية والالتزام بحسن الخلق والطاعة وصدقه فى دعوته والتزامه بالتعاليم ، وأن سلوكه لم يناقض جوهر دعوته وما قدمه من التعاليم وأذكار تمجد وحدانية الإله وتنزهه عن الشبيه والمثل والتعدد.
- كما استشهدوا على نبوته بمواقفه الشجاعة وحسن تبليغه للرسالة وعدم مهادنته للمعارضين للتوحيد وكان يمثلهم فى عصره بعض كبار الكهنة الداعين للوثنية والتعدد والذين كانوا يصفون الآلهة بصفات البشرية وينسبون لهم الأزواج والأبناء ويفترضوا لهم حياة دنيوية بشرية إلى جانب حياة الخلود والأبدية ،

كما استدلوا بمظاهر دعوته وهجرته من طيبة بلدته إلى مدينة آخرى أقامها "**إخناتون**" خصيصا لنشر الدعوة سماها (**إختاتون**) أى أفق "آتون" الإله ، ووصفها بأرض الطهارة التى لم يدنسها شرك ... وأن هذا شبيه بموقف جميع الأنبياء حيث كانت الهجرة وسيلتهم للحفاظ على الدعوة ونشرها.

- كما استدلوا على نبوته بجوهـــر دعوتــه وصـــدق آرائــه واتســامها بالعموميــة والشمول وإنـــها دعـــوة إنســانية عامـــة صالحـــة لكـــل زمـــان ومكـــان ، وإن إخناتون لم يوجه دعوته لشعب بعينه أو بلـــد دون آخـــر.

- كما استدلوا على نبوته بصريح أقواله حين صـــرح "**إخناتـــون**" بأنـــه الرســـول المصطفى من قبل الإله الواحد ليكـــون خليفتـــه والمبلـــغ لدعوتـــه وإنـــه اختـــار بعض الحكماء والأعوان ليعلمهم ما علمـــه الإلـــه إيـــاه مـــن أذكـــار وصلـــوات وحكم فى وصف الإله الواحد وحقيقتـــه.

- ورغم العديد من الأدلة والشـــواهد علـــى نبـــوة "**إخنـــاتون**" لـــم تتوفـــر القناعـــة أو الشجاعة لدى بعض الباحثين للاعـــتراف بنبوتـــه رغـــم اعترافاتـــهم بمكانتـــه ودوره. ومـــن هـــؤلاء هـــيرودوت وجـــاردنر وجـــورج ســـاراتون وســـــيرج سوتيرون ، وفرنسوا دوماس وغيرهم فى حين اعـــترف آخـــرون فـــى شـــجاعة بأن دعوة "**إخناتـــون**" التوحيدية مـــا كـــانت إلا وحيـــا علـــى نبـــى أو رســـول استجابة لقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿وإن من أمة إلا خـــلا فيـــها نذيـــر﴾[1]

وهذا ما ذهب إليه الدكتور صلاح الفـــوال الـــذى عقـــد العديـــد مـــن المقارنـــات بين أذكار "**إخناتـــون**" وما جاء فى القرآن الكريم مـــن صفـــات إلهيـــه وحقـــائق كونيـــة تتوافق إلى حد كبير مع ما كان يردده "**إخناتـــون**" فـــى تعاليمـــه[2].

---

[1] فاطر : (٢٤).

[2] التصوير القرآنى للمجتمع : د. صلاح مصطفى الفوال - دار الفكر العربى - القاهرة ١٩٨٥ م. وبـــه مقارنة بين دعوة إخناتون وما جاء بالقرآن الكريم.

- راجع كذلك مؤلف د. صلاح الفوال : علم الاجتماع فى عالم متغير دار الفكـــر العربـــى ط ١٩٦٦ : ص٤٨ .
- راجع كذلك : قصص الأنبياء : عبد الوهاب النجار – مكتبة دار التراث – ط ١٩٨٥م.
- راجع أيضا : إثبات الرسالة وصفات الرسل : د. عبـــد الحميـــد درويـــش حـــول صفـــات الرســـل الواجبة : ص ٩٧-١٫٨.

وتلك أدلة إثبات نبوة "إخناتون":

١. الدليل الشخصى :

ويتمثل فى مجموع صفات "إخناتون" الشخصية المميزة له كالصبر والصدق والتواضع والفطنة والإخلاص فى الدعوة وهى صفات تؤهله للنبوة وتحمل المسئولية بوصفها صفات واجبة للأنبياء والرسل..

وكانت فطنة "إخناتون" فى مقدمة هذه الصفات حيث ظهرت فطنته ابتداء منذ اختياره لأسمائه والتدرج فى دعوته وإدراكه مدى تعمق الإيمان بالإله العظيم الواحد فى وجدان الشعب المصرى ، فاختار اسما معبرا عن هذا الاعتقاد ويرتبط بعقيدة الشمس المترسبة فى وجدانهم بوصفها رمزا للقوة والحياة والخلود ، فأطلق على نفسه لقب " نفروخبرورع" واع إن رع : أى وحيد رع صاحب الأشكال الجميلة ، كما قبل لقب الكاهن الأكبر "لرع حار آختى" المبتهج فى الأفق (أى النور - شو الموجود فى آتون) وفى بداية الدعوة أيضا ظهرت فطنته عندما نجح فى وقف نشاط الكهان ودفعهم لمراجعة مواقفهم دون مواجهة أو عنف ، فجامل فى البداية بعض الكهنة من أنصار آمون وأعلن أن دعوته توحد بين آمون وآتون (لأن آتون هو الإله الواحد الذى يجمع بين آمون ورع) ولتأكيد ذلك قام بتشييد المعابد لأتون فى رحاب الكرنك معقل عبادة آمون . وظهرت فطنته فى منهجه وحسن اختياره لاسم الإله والرمز المعبر عنه ، ولم يفاجئ الناس بالتغيير دفعة واحدة بل كان التدرج والمواعظ الحسنة والإقناع أسس منهجه حتى إنه لم يعلن دعوته مرة واحدة ولا بمجرد توليه عرش مصر وصرح فى بداية الدعوة إنه لم يطلب من الشعب سوى العودة إلى معبود الفطرة القديم الذى كان الأباء والأجداد من الموحدين يتوجهون له بالعبادة إنه "رع حر آختى" ، إنه آتون الذى يرمز إليه بآية النور المعجزة المستحبة فى كوكبه.

ويلاحظ أن صفة الصبر كانت من أبرز صفاته فى مواقف عديدة منها :

- كثرة تعبده لإظهار طاعته وشكره للإله ، فكان الصبر هو الرابطة بين الطاعة والشكر وما يشعر به الفرد من سعادة نتيجة لصبره وقد عبر "إخناتون" عن ذلك حين قال : "إن من أحبه الإله وجبت عليه طاعته ، وإن الإله لا يعرف أهل السوء ، وإذا جاءتكم السعادة حق عليكم شكر الإله.

- **حسن تعامله وصبره مع الكهان من أعدائه ، فكان كريما معهم رغم** عدائهم له ، وكان يجزل لهم العطايا اتقاء لشرهم ، وقد وصفهم فى إحدى لوحاته بقوله : "أقسم بحياة أبى آتون أن الكهنة كانوا أشد إثما من كل الأشياء التى سمعتها حتى العام الرابع وأشد ضراوة من الأشياء التى وقعت حتى العام السادس. فى إشارة لموقف الكهان المعارض لدعوته ومؤامراتهم العديدة ضده فكان الصبر والتحمل والكرم والعطاء للأعداء قبل الأصدقاء هو السبيل إلى قلوب أتباعه وحتى من رفضوا دعوته.

- قبوله الألقاب الملكية المعتادة رغم ما فيها من وثنية وتعدد ومن أشهرها :

الفحل القوى ، الصقر الذهبى ، صاحب التيجان الملكية ، ملك مصر العليا والسفلى ، المحبوب من الآلهة ، ابن رع أمنحوتب ، المحبوب من آمون رع ، الحاكم المقدس فى طيبة .

وظل "إخناتون" على صبره فى تحمل هذه الألقاب حتى العام السادس من حكمه حوالى ١٣٦١ ق.م حين جهر بدعوته وأعلن تعاليمه ، وضرورة توحيد الإله وعبادته ، وفى نفس الوقت أعلن التخلى عن هذه الألقاب وكل ما يوحى بالتعدد والوثنية وفى مقدمة هذه الألقاب اسمه الملكى نفسه (أمنحوتب الرابع) وتلقب فقط بالاسم الدينى الجديد "إخناتون"... (المخلص لأتون) وعلى آثر ذلك بدأ "إخناتون"

في محو مظاهر التعـــدد فـــى أســـماء الآلهـــة وحـــرم التعبـــد لغـــير الإلـــه الواحد. وأصدر أوامره بإغلاق معابد الآلهة الأخـــرى فـــى مختلـــف المـــدن وسائر أنحاء الإمبراطورية المصرية ، كما أمر بإزالـــة كافـــة آثـــار التعـــدد والكهنوت من معابد وأسماء ومحـــو كلمـــة آلهـــة حيثمـــا وجـــدت منقوشـــة بصيغة الجمع لان الإله واحد واسم واحـــد لا يجمـــع[1].

- وكانت صفاته من صدق وإخلاص وتواضـــع وعـــدل إلـــى جـــانب صـــبره وفطنته دافعا ودليلا على علو شأنه والتصديـــق بنبوتـــه.

فكان "**إخناتـــون**" حريصـــا علـــى تطبيـــق مبـــادئ العـــدل والحـــق – وقـــد سجلت إحدى لوحاته تلك الصفات جاء فيها : يعيـــش حـــور الذهبـــى الـــذى يحمل اسم آتون ملك مصر العليـــا والســـفلى إيـــن رع الـــذى يعيـــش علـــى الصـــدق[2].

- كما كانت صفة التواضع من أبرز صفاته التي تؤكـــد نبوتـــه وبشـــريته ..

فكان "**إخناتـــون**" شديد التواضع وحرص على إظـــهار ذلـــك لكـــى ينفـــى عـــن نفسه أى شبهة تقديس أو تعظيم وليؤكد بشرية الملـــك الـــذى يجـــرى عليـــه كـــل أحوال البشر من حزن وقلق وفرح وغضـــب وســـعادة ومـــن أجـــل ذلـــك أمـــر "**إخناتـــون**" الفنانين والرســـامين أن يصـــوروه فـــى مختلـــف أحوالـــه وأثنـــاء ممارسته لأمور حياته اليومية ومع أســـرته أثنـــاء فرحـــهم وحزنـــهم أو جدهـــم وعبثهم كل هذا حتى لا يؤلهه الرعية وليصدقوا نبوتـــه ويؤمنـــوا بدعوتـــه وقـــد صورت العديد من اللوحات مدى تواضع وخشـــوع "**إخناتـــون**" فـــى لحظـــات تعبده وأثناء صلاته ووضوئـــه وركوعـــه.

---

[1] د. عبد العزيز صالح الشرق الأدنى القديم ج١ ص ١٩٧-٢٩٨ ، ص ١٢٧،٣٩.

[2] فتحى العقيل إخناتون الفرعونى ص ١١ ،٢٤،٢٢،١٣.

وهكذا كانت أخلاقه وحسن صفاته متوافقة مع جوهر دعوته الداعية لحسن الخلق والتواضع والصبر والصدق والتوحيد[1].

٢. الدليل التاريخي :

ويتمثل في الإجماع على أن دعوة "**إخناتون**" هي أول محاولة عملية للاتجاه نحو التوحيد الخالص من كل تعدد أو شرك وأنها كانت السبيل للتخلص من عبادة التعدد والوثنية وبعض الخرافات التي كان يدعمها بعض الكهنة ورجال الدين .. وأن ذلك متوافق مع ما جاءت به الرسالات السماوية وبالتالي يمكن القول بنبوءة "**إخناتون**" وأثبت المؤرخ الأميركي برستيد الأثر الكبير لأذكار إخناتون على معتقدات اليهود ، وأثبت التشابه الكبير بين المزمور ١٠٤ وبين أدعية "**إخناتون**" .. كدليل على أن ما جاء به وحي من السماء وليس من عنده واستدل المؤرخون على نبوءته بعمومية رسالته واستمرارها.

فقد انتشرت أدعية "**إخناتون**" داخل مصر وخارجها وأن بلادا كثيرة في أسيا وإفريقيا قد عرفت توحيد إخناتون وآمنت به وأن العبرانيين كانوا أكثر وأقرب الشعوب تأثرا بدعوته وهذا ما ظهر بوضوح في التوراة . كما استدلوا بتصريحات "**إخناتون**" بأن آتون ليس إلها أجنبيا عن مصر وأن متون الأهرام ولوحات المعابد قبل "**إخناتون**" بألف عام أو يزيد قد أكدت أن آمون ورع وحور آختي هي أسماء للإله الواحد الأعظم الذي يجب أن يتوجه إليه الجميع للعبادة وأن إخناتون قد صرح علانية بأن لفظ آتون الذي يعني الإله الواحد الحي هو اسم قديم معروف في عصر الدولة القديمة الوسيطة وكان يطلق على الشمس بوصفها رمز للإله المتحكم في الكون والحياة والبقاء ، لأن الشمس في حركتها واستمرارها رمز للحياة والوجود والدفء ، ودليل قوة الإله ووحدانيته ، كما إنها رمز للجلال

---

[1] راجع ألقاب إخناتون في لوحة الحدود . - د. احمد فخري : مصر الفرعونية ص ٣٢٣-٣٤٦.

والعظمة والنور ، وعلى ذلك كانت الشمس آية كبرى دالة على الوجود الإلهى الباقى فكان هذا دليلا على معرفة المصريين قبل "إخناتون" بالأديان والتوحيد وأنهم كانوا يتعبدون للإله الذى خلق هذه الشمس ولم يعبدوا هذه الشمس ، وأن دعوة إخناتون لا تتعارض مع دعوة الأنبياء السابقين عليه .

٣. الدليل العقلى :

ويتمثل فى اعتماد "إخناتون" على المنطق والحكمة والمشاهدة الحسية فى إقناع الرعية بدعوته ، فعمد إلى الوصف الدقيق لحقائق الخلق البشرى ومراحل تكوين الجنين وإثبات وحده .. الكون تمهيدا لإثبات قدرة الإله ووحدانيته فهو ينسب الوجود ومراحل الخلق للخالق القادر فيقول : أيها الخالق لبذرة الحياة فى النساء إنك أنت الذى يجعل من البذرة السائلة إنسانا إنك أنت الذى يعتنى بالطفل فى بطن أمه وأنت الذى يهدئه بما يوقف بكاؤه فانك أنت الذى تعنى به وهو فى الرحم وأنت الذى تعنى به وهو فى الرحم وأنت الذى يعطى النفس ليحفظ الحياة لكل مخلوق ، وعندما ينزل الطفل من بطن أمه ليتنفس فى اليوم الذى يولد فيه ، فأنت الذى تفتح فمه وتمده بكل ما يحتاج إليه وعندما يصرخ الكتكوت فى داخل البيضة فأنت الذى يمده بالنفس فى داخلها ليعيش وعندما تتم خلقه داخل البيضة تجعله يكسرها فيخرج من البيضة وهو يصوصو إذا ما كان موعد وجوده وحياته .. ويقول أيضا فى وصف الخالق وقدرته أيها الإله الخالق أنت صنعت الدنيا بيديك وخلقت الناس كما شئت أن تصورها .. أنت الحياة بعينها ويعيش الإنسان بإرادتك لأنك أنت الذى يعطى الحياة .. ولم يعتمد "إخناتون" فقط على الوصف والتحليل بل لجأ إلى الإقناع بالدليل لإثبات أهمية وفائدة الإيمان والتوحيد والإخلاص فى العبادة والتزام حسن الخلق ومن اجل ذلك لجأ "إخناتون" إلى تفسير التعاليم والأذكار التى يجب أن يتعبد القوم بها فكان يحرص على تفسيرها لأتباعه الذين أمنوا بدعوته.

كما حرص على بيان أهمية التزام الحق والعدل لان الحق والعدل في حقيقته أساس التوحيد والعبادة فالعدل "ماعت" هو أصل الحقيقة وأن وجوب تسمية الأشياء بمسمياتها من العدل والصدق وأن العدل يوجب على البشر أن ينزهوا الإله عن الجسمية والبشرية لأن الجمادات والأجسام تضعف وتتحول ولا تدل على القدرة.

وبالتالي فإنه الحي الذي يعطي الحياة ، والقادر الذي لا يضعف والذي يظهر أمامنا في رمزه وآيته في قرص الشمس الذي يعطي الدفء والحياة لجميع الكائنات وكل البشر فلم لا يتوجه الجميع لعبادته وحده.

ويظهر التزام "**إخناتون**" بالمنطق العقلي حين رفض الفكر الخرافي والاعتقاد بقوة السحر في الإماتة والإحياء وتحقيق الخلود والنجاة في الآخرة.

كما رفض التسليم بقوة الطبيعة الخارقة وتدخل الحيوان وعالم الخيال في إرادات البشر .. فأكد إخناتون أن الاعتقاد في قوى الطبيعة والسحر خرافة وان الإله وحده هو الذي يملك القدرة والإرادة والتأثير على جميع المخلوقات .. وأكد أيضا أن الاعتقاد في التعدد يؤدي إلى اختلاف البشر لأن الاعتقاد سيكون للأقوى من الآلهة وبالتالي لابد أن تختلف الآلهة كما تختلف البشر .. ولذا يجب على البشر أن يتعبدوا لقوة واحدة مؤثرة في الكون والإنسانية وإنها القوة التي تساعد على قضاء الحاجات وتوفير أسباب الرزق والحياة وتحقق الأمن النفسي والاجتماعي لجميع الكائنات.

وقد أشار جيمس هندري برستيد في كتابه فجر الضمير إلى عقلانية "**إخناتون**" حين وصفه بأنه أول مفكر مثالي وأول داعية من غير الأنبياء المعروفين وأنه أول شخصية مستقلة ظهرت في التاريخ وأنه أحرز هذه المكانة السامية بنفاذ بصيرته وحسن تدبيره وتفكيره العقلي.

ودليل ذلك حسب قول برستيد إنه لم يلجأ في تأكيد فكره أو توطيد حكمه ومذهبه إلى وسيلة من وسائل الأساطير ولا إلى شيء من العادات القديمة

بل اعتمد فقط على البراهين العقلية والمنطقية الظاهرة والدالة في نفسها على سلطان الإله وعظمته ووحدانيته[1].

٤. دليل الوحي والاصطفاء:

ويتمثل في إعلان "**إخناتون**" بأنه النبي المصطفى الموحى إليه والمكلف بالرسالة والدعوى إلى عبادة الإله الواحد الذى لا شريك له ولا شبيه له .. وقد صرح "**إخناتون**" كثيرا بأنه وحده هو ابن آتون أى خليفة الإله الواحد ، وإنه ابن الشمس المكلف بعبادته والداعي إليه ، وأن الناس تتعرف على آتون (الإله الواحد) من خلال ابنه ورسوله "**إخناتون**".

ويمكن الاستدلال على نبوءة "**إخناتون**" وأنه صاحب دعوة ورسالة من خلال ما ردده إنه مكلف من قبل الإله لتنظيم المعاملات بين البشر وأن تلك مسئوليته بوصفه الواسطة أى الرسول بين الإله والبشر.

وقد سجلت لوحات عديدة فى الكرنك وإخيتاتون حوارات بين "**إخناتون**" وأتباعه من المؤمنين بدعوته .. فى إحداها : اعتراف من "**إخناتون**" بأنه حوارى المعتقد الجديد وتصريح أحد اتباعه بأن "**إخناتون**" صاحب مذهب ورسالة جاءت من قبل الإله.

يقول أحد أتباعه : ما أكثر من يستمع إليك وإلى مذهبك فى الحياة وما أكثر من يملأ ناظريه بمشاهدتك ولا تتوقف عينيه عن النظر لآتون كل يوم. ويرد "**إخناتون**" بقوله : أنت خادمي العظيم الذى يستمتع بمذهبي وأن كل عمل تؤديه يرضى قلبي عنه ، وأنا أمنحك هذه الوظيفة حتى تستطيع أن تأكل من أطعمة فرعون السيد فى بيت آتون.

---

(١) جيمس هندرى برستيد : فجر الضمير(الترجمة العربية) ط القاهرة ١٩٥٦.
جيمس هندرى برستيد : تطور الفكر والدين(الترجمة العربية) ط القاهرة ١٩٥٦.

وفى مقبرة الوزير موســـى تســجيل لحــوار بينــه وبيــن "إخناتـــون" حيــن صرح بنبوته إليه .. يقول "إخناتــون" لوزيـــره : كلمــات رع ألقيتــها عليــك ، إن الإله قد علمنى إياها وكشف لى عن خباياها ، هـــذه الكلمــات الــذى عرفــها قلبى. وانشرح لها صـــدرى .. فـــيرد الوزيـــر علــى إخنــاتون : إنــك الوحيــد الذى أختاره "آتـــون" (الإله الواحد) لكى يلقى إليـــه تعاليمـــه والخــوف منــك والاحترام لك يملأ القلوب والجبال تستمع إليك كمـــا يســتمع النـــاس[1].

وكانت هذه الحوارات وأمثالــها وراء تسـمية "إخناتـــون" بــالملك الفيلســوف أو "إخناتــون" الرســول .

٥. دليـــل الدعـــوة :

ويتمثل فى أن الأنبياء لا يدعون لأنفســهم ولا يدعــون بدعــوة خاصـــة ولكنـــهم يدعون لعبادة الإله ويتوجهون بدعوتهم إلى جمـــوع البشــر ، وهــذا مــا فعلــه "إخناتــون" عندما صــرح بضـــرورة أن تكــون العبــادة للإلــه الواحــد الــذى يرمز له بآتــون وكانت دعوته عامة للبشـــر لان الإلـــه واحــد والإنســان فــى كل مكان واحد. وأكد إخناتون أن آتــون هـــو إلـــه جميــع الكائنـــات ، الإنســان والحيوان والطير والجماد ، فهو خالق الجميع وراعيـــهم حتــى الأســماك التــى تعيش فى البحار والوحوش فى الأدغال والزواحـــف فـــى أحجارهـــا والنباتـــات فى حقولها كلها تعبد الإله وتسبحه وأكـــد "إخناتـــون" أيضـــا أن عبــادة آتــون مكفولة للجميع لأن كل شخص له حـــق الاســتمتاع بالحيــاة والــدفء والوجــود وممارسة شعائره ويجب أن تكون الدعــوة للعبــادة علــى العمــوم وألا تتضمــن شرا أو حقدا بل يجب أن تكون خيرا وعلما وحبا وإخـــاء بيــن النــاس .

---

(١) د. أحمد فخرى ، مصر الفرعونية ٣٢٣ ، ٣٢٦ ، ٣٤٦.
د. أحمد فخرى ، فى موكب الشمس حــ ٢ ، ص ٥٦١ – ٥٦٢.
محمد عبد اللطيف ، أمون فى الدولة الحديثة ص ٧٩ ، ٢٩٦ – ٢٩٧.
د. عبد العزيز صالح ، الشرق الأدنى القديم حــ ١ ط ١٩٨٤ ، ص ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣٣٤.

وأكد كذلك على وجوب كراهية الشرور والأثام وفى مقدمتها التخريب والسرقة والقتل ، كما يجب التزام الصدق والعدل والأمانة والبعد عن الكذب والخيانة فدعوة "إخناتون" لعبادة الإله الواحد والتزام محاسن الأخلاق وإخلاص العبادة تدل على إنه لم يدع إلا بدعوة من سبقه من الأنبياء والرسل.

وجاءت تصريحات "إخناتون" معبرة عن هذه المعانى حين يقول :

- أن آتون ما هو إلا رع حار آختى الذى يتهلل فى أفقه باعتباره النور الذى فى الكوكب آتون .
- أن آتون هو معبود الفطرة القديم وإنه معبود أهل مصر الأولين ، وإنه هو نفسه الإله الواحد الذى كان يؤمن به أجداده وآبائه من الموحدين.
- أن آتون هو نفسه رع خار آختى الذى رغب الناس فى تسميته باسم الوالد.
- أن آتون الحى هو بداية الحياة.
- أن الناس يرفعون أذرعتهم ابتهالا لواهب الحياة لأنه الإله الأوحد الذى لا شبيه له ويقولون : أيها الإله ما أعظم الأعمال التى عملتها إنها خافية على الناس. أيها الإله لقد خلقت الدنيا كما شئت عندما كنت وحدك.
- أيها الإله إنك تضع كل شيء فى مكانه وأنت الذى تمدهم بما يحتاجونه ليحصل كل كائن على طعامه وسنوات حياته مقدرة له.
- إنك أنت الذى يميز أهل الأمم الأجنبية وأنت الذى خلقت نيلا فى ذلك العالم الآخر وأنت الذى يأتى به عندما يشاء لتبقى على الناس وذلك

لأنك أنت الذى خلقتهم لأجل نفسك وأنـــت ســيدهم جميعــا ، ســيدهم الــذى يشغل نفسهم من أجلـــهم[1].

- وقد بذل "إخناتــون" جهدا كبيرا فـــى نشــر الدعــوة وقــام بتوفــير أمــاكن العبادة وممارسة الشعائر ، فأمر بتشييد العديــــد مــن المعــابد فــى رحــاب الكرنك وفى طيبة : مثل معبد آتون الخـــاص بـأمنحوتب الرابــع ، ومعبــد آتــون الخاص بنفرتيتي ، ومعبد آثر آتـــون القــوى إلــى الأبــد ، ومعبــد آثر آتــون المميز للأبـــد ، وقيــل أن "إخناتـــون" كــان متفرغــا للدعــوة والعبادة وإنه كان يقوم بأداء الطقـــوس الدينيــة فــى معبــده الخــاص آثــر آتون المميز إلى الأبــد.
- وكانت الطقوس التى يؤديها الملك فى هـــذا المعبــد تسـمى رفــع القرابيــن ولم يكتف "إخناتــون" بالدعوة داخــل مصــر بــل حــرص علــى نشــرها خارجها ، فأقـــام ثلاثــة مراكــز للدعــوة الآتونيــة فــى مختلــف أنحــاء الإمبراطورية المصرية في منف والنوبة وفلســطين ، بيــت شــمس .

وبعد هذه الأدلة يبقى السؤال : مـــا هـــى معجــزة "إخناتـــون" إذا كــان مــن الأنبيــاء ؟

ولماذا لم يطالبه الرعية بمعجزة ؟ أم أنـــهم أمنــوا بدعوتــه وصدقــوه مكتفييــن بما سمعوا ورأوا منــــه ؟

---

[1] د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٣٢٤ – ٣٢٩.

الخاتمـــة

بسم الله والحمـــد لله ، والصـــلاة والســـلام علـــى رســـول الله صلـــى الله عليـــه وسلم والحمد لله الذى أرسل الرســـل بـــأفضل القيـــم وأحســـن المثـــل ، ووهبنـــا الحكـــم وعلمنا ما لم نكن نعلـــم ..

من نعـــم الله علينـــا أن اهتدينـــا بنـــور العلـــوم والمعـــارف ، وســـلكنا طريـــق الحكمة والدين ، واهتدينا بنور العقـــل واليقيـــن.

ومن ثم وجب علينا التذكـــير بالمنـــهج والمصـــير وجـــهاد الإنســـان المصـــرى الأصيل ، الذى رفض الجمود والتخلف والجـــهل وتمســـك بالحكمـــة والعقـــل ، وحـــافظ على الجسم والنفس واعتقـــد فـــى الخلـــود والبعـــث وآمـــن بالإلـــه الواحـــد والضمـــير الحـى.

ورغم الاعتراف بأن الحضارة المصريـــة لـــم تكتشـــف بعـــد وأن مـــا يعـــرف عنها هو القليل فإن القليل هـــو الـــذى يمـــلأ الدنيـــا الآن ويثـــير الفكـــر ويدفـــع علمـــاء المصريات من كل مكان إلى مزيد من ا لبحـــث والكشـــف.

فما بالنا لو تـــم اكتشـــافها ومعرفـــة مختلـــف جوانبـــها مـــن علـــوم ومعـــارف وفنون وآداب ، ومعتقدات وعادات وآثار وأفكـــار لتغـــيرت حضـــارة العصـــر وأشـــرق وجه مصر والعالم بنور الحقيقـــة.

وقد أثبتـــت البحـــوث والدراســـات ومنـــها هـــذا البحـــث أن مصـــر مـــهد التفلســـف والحضارة وأهلها منبع الحكمـــة والتديـــن :

- لأن حكمتهم ارتبطت بالعقل المفكـــر الواعـــى بـــالوجود المتواصـــل عـــبر الزمـــان سواء ماضى أو حاضر أو مســـتقبل.
- لأن حكمتـــهم كـــان مصدرهـــا رســـالات الســـماء وحكـــم الأنبيـــاء ، وكـــانوا أول الموحدين وفى مقدمة الساعين وراء المعرفة وإدراك الحقـــائق وإتقـــان العلـــوم.

- لأن حكمتهم كانت هى العلم بأسرار الوجود ، ومعرفة كل أمر إلهى مقدس سواء قراءة أو كتابة ، سواء عمل أو عبادة.
- لأن حكمتهم كانت هى الالتزام بما ينبغى أن يكون من أجل تحقيق الكمال فى مختلف العلوم والمعارف والفنون والصنائع.
- لأن حكمتهم كانت هى الوسيلة والغاية ، وسيلة تحقيق الكمال وغاية كل مسئول وكاتب أو حكيم ، ليصبح الحكيم هو العارف بالدولة والنظام والحكم والقانون ، إنه العليم بكافة الأمور ، القائم بالقضاء وشئون المال والإدارة والتعليم.
- لأن حكمتهم كانت فى التوسط والاعتدال والعقل والكمال ، والطاعة والالتزام ، والخير والنظام .. فى العقل الواعى والضمير اليقظ.
- لأن حكمتهم هى الحقيقة ، وكانت الحقيقة هى الحق والصدق والعدل والبعد عن الشر والظلم والتطرف والعدوان .. كانت الحقيقة فى الالتزام الحر بالتعبير الصادق عن الآراء والخيرات والحكم.

كانت الحقيقة فى كل ما يكسب السمعة الطيبة ويدفع للخير والاحترام ويلزم الحكام بالعدل والرعية بالتعاون وفعل الخير.

- لأن حكمتهم كانت تتسم بالكلية والعموم ، ومن ثم أصبح الفكر المصرى فكر شعبى عام لا يرجع إلى فرد أو جماعة من الحكماء بل يرجع إلى عموم الشعب الذى آمن بالحكمة واعتقد فى الخلود ومارس الفن وأتقن البناء ، فكان فكره كلياً يشمل كل جوانب العلم والحياة ، لدرجة أن المعرفة بالنفس والعالم والله والمصير أضحت أجزاء فى منظومة المعرفة الكلية بعموم الحياة فانتشرت العلوم والمعارف بين جموع الشعب حتى قيل إنه لا يوجد مصرى واحد فى العصر القديم جاهل بالقراءة والكتابة ، أو جاهل بتاريخ مجتمعه وأهم الأحداث التى مرت فى حياته.
- كانت الحكمة عندهم فى وحدة الفكر والمعتقد التى تولد عنها أشكالاً أخرى من الوحدة ، مثل وحدة اللغة والتاريخ والكتابة والمنهج والأداء والتعبير بالنقش

بالنقش والصورة عن المشاعر والأحداث ومظاهر الألفة والتعاون في إنجاز الأعمال ومواجهة الأخطار والفيضان وبناء القرى والمعابد والأهرام.

وقد ساهمت حكمتهم القائمة في وحدة الفكر في تعميق مشاعر الوحدة والانسجام حتى تحولت قضايا الفكر والسلوك إلى بداهات عقلية ومنطقية لا خلاف عليها ، ومن ثم لم يعارض حكيم مصرى حكيم آخر في قضية من القضايا وأصبحت مسائل البعث والحساب والخلود والألوهية والروح والضمير معتقدات راسخة يؤمن بها الجميع ولا يختلف حولها لأنها من قضايا الإيمان العلم.

وقد دل على ذلك سلوك الملوك والأمراء وتعاليم الرسل والأنبياء ووصايا الكتاب والحكماء ونقوش المعابد والمقابر وما أكتشف فيها من برديات وكتب مثل كتاب الموتى ومتون الأهرام وكتاب الإنكارات.

- كانت الحكمة عندهم في الاعتماد على العقل والتجربة والتمسك بنظام الأسرة وتربية الأبناء على القيم والمثل وممارسة الشعائر واحترام أهل الخبرة وأهل المعرفة.

- فكان تأمل الظواهر ومتابعتها بدقة ومنهجية وراء تقدمهم في علوم الفلك والطب والهندسة وما يتطلبه ذلك من أدوات للرصد والتسجيل والبحث وحساب المسافات والمساحات والأرقام وعلم بحركة النجوم والكواكب كما يتطلب نضج عقلى واسع حتى سمى بعض الحكماء مثل أمحوتب بكبير المتطلعين إلى السماء أو كبير الرائيين وكان بعض الكهنة يتولى منصب رئيس الفلكيين.وفى علم الطب ظهرت مؤلفات في تشريح الجسم والأمراض التى تصيب كل عضو وكيفية علاجه مثل مؤلفات أمحوتب وبتاح حوتب ، كما ظهرت مؤلفات فى أسرار الأعشاب الطبية وما تعالجه من أمراض مثل كتاب جر إثوبيس وكتاب سنموت المسمى بالتوليفات.

- كانت الحكمة عندهم هى النور الدائم الذى يستضاء به فيظهر الحقائق وينير الطريق أمام راغبى المعارف ، ومن ثم حرص الأدباء والحكماء والرعية

والحكام تلقين أبناءهم أصول المعارف والتجارب في صورة مواعظ وإرشادات وحكم ...

والأمثلة على ذلك كثيرة منها :

- نصائح الملك آختوى الرابع [واج كارع آختوى] وهو آخر ملوك الأسرة العاشرة ٢١٣٣ – ٢٠٦٥ ق . م لابنه مريكارع.
- نصائح سنب حوتب أشهر حكماء الدولة الوسطى في مصر القديمة التى استمرت من ٢٢٨٠ حتى ١٥٠٠ ق . م .
- نصائح المصلح العجوز إيبوور فى أواخر عصر الدولة القديمة حوالى ٢٣٠٠ ق . م.
- نصائح كتاب الحكمة ابتداء من أمحوتب ٢٧٨٠ ق . م وحتى بتوزيرس في عصر الأسرة الثلاثين حوالى ٣٥٠ ق . م.
- وكان محور هذه النصائح الدعوة لإعمال العقل لاكتساب الحكمة ، والحرص على فعل الخير من أجل الخلود والبقاء فى الآخرة.
- كما نبهت إلى ضرورة العمل ليوم الحساب لأن الإله يعرف العاصى ويعاقبه.

وأكدت أن مثال الحقيقة والعدل ليس بعيداً عنهم فهناك عالم الآلهة التى ترعاها مثل الإله تحوت إله المعرفة والحكمة ، والإله ماعت إله الحق والصدق.

- ومن ثم فإن الحكمة لا تقتصر على المعرفة بعالم الطبيعة بل لابد من التعرف على عالم ما وراء الحس.
- كما أجمعت النصائح على أن التحلى بالحكمة أثمن ما فى الحياة لأن التحلى بها يحقق السعادة والكمال والمكانة العالية فى الدنيا والآخرة.

وهذا ما أكده الحكيم سنب حوتب حين قال : **"يا بنى تعلم كيف تحرك أصابعك القلم ، وكيف يحرك عقلك أصابعك ، فلا يخط قلمك إلا الحكمة والمعرفة وما ينفع الناس".**

وكذلك موعظة الحكيم آمون من التى دارت حول أهمية العمل بالحكمة والإخلاص لها وما تحققه من سعادة ، **فقال :**

يا بنى كن كاتباً حتى يريح عقلك إجهاد جسمك.

يا بنى كن كاتباً لتصبح سيد نفسك.

يا بنى كن كاتباً ينعم عليك الإله بحاسة جديدة مقدسة تضاف إلى حواسك الخمس ، حاسة تميزك عن الآخرين ، فترى مالا يراه الآخرون وتسمع مالا يسمعه الآخرون ، سترى وتسمع بعقلك وقلبك عالم ما وراء الطبيعة ، ستتمتع بشهوات عقلك ، وتسعد قلبك ومن كان قلبه سعيداً أسعد الآخرين.

وهكذا صور كتّاب الحكمة فى مصر القديمة طبيعة التفلسف المصرى الذى يتسم بالشمولية والعموم والتوسط والاعتدال والمنهجية والتواصل والاستمرار والوحدة والانسجام والتنوع والتجديد والابتكار .. وهى سمات نراها واضحة عند مراجعة نصوص الحكمة التى قدمها كتّاب الحكمة على مدى عصور الدولة المصرية القديمة وعند تصفح ورقات هذا البحث.

والله نسأل حسن القبول

والله الموفق والمعين

والحمد لله رب العالمين

بهتيم فى ١٤ ربيع الثانى ١٤١٩ هـ

الموافق ٧ أغسطس ١٩٩٨م

د. عبد الحميد درويش عبد الحميد

المراجع العربية

١. د. إبراهيم أحمد رزقانة : حضارة مصر والشرق القديم.

٢. د. أحمد بدوى : فى موكب الشمس جزأن - ط٢ (١٩٥٥م).

٣. د. أحمد بدوى ، جمال الدين مختار : تاريخ التربية والتعليم فى مصر : حـ١ العصر الفرعونى - القاهرة ١٩٧٤م.

٤. د. أحمد فخرى ، مصر الفرعونية ، موجز تاريخ مصر منذ أقدم العصور ط ٨ الأنجلو المصرية ١٩٩٥م.

٥. د. أحمد فخرى ، جمال الدين مختار : الموسوعة المصرية - تاريخ مصر القديمة وآثارها - ط١ - (القاهرة).

٦. د. أحمد عبد الرحمن إبراهيم : الفضائل الخلقية فى الإسلام (دار الوفاء - ط ١٩٨٩).

٧. السيد أبو ضيف المدنى : الأخلاق فى الأديان السماوية (دار الشروق ط ١٩٨٨).

٨. الغزالى (الإمام أبى حامد محمد بن محمد الغزالى) : إحياء علوم الدين حـ٣ - طبعة المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة.

٩. سليمان أحمد حزين : فى تاريخ الحضارة المصرية جزء أول - ط القاهرة ١٩٦٢.

١٠. د.سليمان أحمد حزين : حضارة مصر أرض الكنانة ط١ (دار الشروق - القاهرة ١٩٩١)

١١. د. سليم حسن : مصر القديمة حـ١ ط ١٩٤٠ ، جزء (٢) طبعة ١٩٥٩، حـ٤ .

١٢. د. سليم حسن : الأدب المصرى القديم حـ١ ط. القاهرة.

١٣. سلامة موسى : تراث مصر القديمة (تراث مصر الفكرى والفلسفى فى عهد الفراعنة " مجلة المقتطف عدد سبتمبر ١٩٣٦) .

١٤. د. سيد كريم : الكاتب المصرى وروائع القصص العالمى الهيئة المصرية العامة للكتاب ط. ١٩٩٤

١٥. سيريل الدريد : الحضارة المصرية من عصور ما قبل التاريخ حتى نهاية الدولة القديمة " ترجمة وتحقيق مختار السويفى ، مراجعة د. أحمد فخرى (الدار المصرية اللبنانية ط١٩٨٩)

١٦. د. صلاح مصطفى الفوال " التصوير القرآنى للمجتمع - دار الفكر العربى - القاهرة - ط ١٩٨٥)

١٧. د. صلاح مصطفى الفوال : علم الاجتماع فى عالم متغير - دار الفكر العربى - القاهرة - ط١٩٩٦)

١٨. شارف إلكسندر : تاريخ مصر - ترجمة عبد المنعم أبو بكر - طبعة القاهرة ١٩٦٠.

١٩. شوقى جلال : الحضارة المصرية ، صراع الأسطورة والتاريخ - دار المعارف - القاهرة -١٩٩٦.

٢٠. د. عبد الحميد درويش : إثبات الرسالة وصفات الرسل - مكتبة وهبة ط ١٩٩٠.

٢١. د. عبد العزيز صالح : حضارة مصر القديمة وآثارها جزء أول القاهرة ١٩٦٢ .

٢٢. د. عبد العزيز صالح : التربية والتعليم فى مصر القديمة طبعة القاهرة ١٩٦٦.

٢٣. د. عبد العزيز صالح : الأسرة المصرية فى عصورها القديمة طبعة القاهرة ١٩٨٨.

٢٤. د. عبد العزيز صالح : ديانة مصر القديمة طبعة القاهرة١٩٩٠.

٢٥. د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم حـ ١ – ط ٤ الأنجلو المصرية ١٩٨٤ .

٢٦. د. عبد القادر حمزة : التاريخ المصرى القديم – جزآن – طبعة القاهرة ١٩٧٠

٢٧. د. عبد المعطى شعراوى : أسطورة طيبة ، مكتبة الأسرة – الهيئة المصرية العامة للكتاب ط ١٩٩٤ .

٢٨. عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ، مكتبة دار التراث ط ١٩٨٥ .

٢٩. د. علاء حمروش : تاريخ الفلسفة الشرقية : ط القاهرة ١٩٨٩ .

٣٠. فتحى العقيل : إخناتون الفرعونى ، أول من دعى إلى التوحيد من غير الأنبياء فى مصر – ط القاهرة ١٩٩٣ .

٣١. مايرز ، ج. ل مايرز : فجر التاريخ – ترجمة د. على عزت الأنصارى – مراجعة د. عبد العزيز عبد القادر كامل – ط القاهرة .

٣٢. د. محمد السيد غلاب : الفلسفة الشرقية ط٢ القاهرة ١٩٥٥ .

٣٣. د. محمد بيومى مهران : الديانة العربية القديمة – ط القاهرة ١٩٧٨ .

٣٤. د. محمد بيومى مهران : إخناتون ، عصره ودعوته – ط القاهرة ١٩٧٩

٣٥. د. محمد شفيق غربال : تاريخ الحضارة المصرية (الجزء الأول) طبعة القاهرة.

٣٦. د. محمد شفيق غربال : تكوين مصر عبر العصور – الهيئة المصرية العامة للكتاب (الطبعة الثانية ١٩٩٠) .

٣٧. مختار السويفى : مصر والنيل فى أربعة كتب عالمية (الدار المصرية اللبنانية ط١٩٨٦).

٣٨. د. مصطفى النشار : بتاح حوتب رائـــد الفكـــر الأخلاقـــى فـــى مصـــر القديمـــة (مجلة الجمعية الفلسفية المصرية عـــدد يونيـــو ١٩٩٢)

٣٩. مصطفى عامر : فى تاريخ الحضـــارة المصريـــة م١ - القـــاهرة ١٩٦٢ .

٤٠. د. نجيب ميخائيل : الحضـــارة المصريـــة القديمـــة - ط الإســـكندرية ١٩٥٧ .

٤١. د. نديـــم الســـيار : قدمـــاء المصرييـــن أول الموحديـــن ط ٢ - حـــ١ القـــاهرة ١٩٩٥ .

٤٢. هيرودوت : حضارة مصـــر - ترجمـــة د. محمـــد صقـــر خفاجـــة - تعليـــق د. أحمد بدوى - القـــاهرة ١٩٦٦ .

المـراجع الأجنبية

1. A. Erman : The Literature of the Ancient Egyptians.

والترجمة العربية : أدولف أرمان : ديانة مصر القديمة ترجمة د. عبد المنعم أبو بكر ، د. محمد أنور شكرى ط القاهرة ١٩٥٢.

2. A.H. Gardiner : The attitude of the ancient Egyptians to Death and the Dead, 1935.

3. A.H. Gardiner : Egypt of the Pharahs, 1964.

والترجمة العربية : آلن جاردنر : مصر الفراعنة ترجمـــة د. نجيـــب ميخـــائيل.

4. Baugaerte L.E.J. : The culture of prehistoric Egypt, Oxford, 1947

5. BREASTED .J.H : Ancient Records (B. A. R.) 1906.

6. BREASTED .J.H : A History of Egypt from the Earliest Times to the Persian conquest, 2nd, ed., 1927.

ترجم إلى العربية بعنوان : انتصــــار الحضــارة (تــاريخ الشــرق القديــم) ترجمـــة د. أحمد فخــرى.

7. BREASTED .J.H The Dawn of conscience, New York, 1933 , 1939.

والترجمة العربية : فجر الضمير : ترجمـــة د. ســليم حســن – طبعــة مكتبــة مصــر ١٩٥٦.

8. BREASTED .J.H : Development of Religion and Thought in Ancient EGYPT, London

والترجمة العربية : تطور الفكر والديــن : طبعــة القــاهرة ١٩٦٥.

9. BREASTED .J.H : Acity of Akhenaton in NUBIA , 1902.

10. Brunton .G. And Caton Thompson G: THE Badarian civilisation and predynastic Remains near Badari, LONDON, 1928.

11. C. Aldred : Akhenaton, 1968

12. Donald, B. Redford: studies on Akhenaton at thebos Museum University of pency Lvania

13. Donald, B. Redford: Reconstructing the temples of a Heretical pharaoh, Archaeology, 1975

14. Drioton . E . et Vandier. J.: L, EGYPTE 2nd, ed., 1946.

والترجمة العربية : دريوتون ، فانديه : مصر ترجمة : عباس بيومى ط٢ ١٩٥٠م.

15. Eliot. Smith: the Royal Mummies

16. E. Seidle : Low in the Legacy of EGYPT, 1947.

17. E. L. Griffith : the jubile of Akhenaton, 1918.

18. F. Daumas, Le civilization de L,EGYPTE pharaonique, Paris, 1965.

19. Faulkner: the Ancient Egyptians, Coffin Texts 1.

20. Frankfort, H: Kingship AND THE GODS, Chicago, 1948.

21. George Saraton : The History Of Science And The New Humanism New York 1965.

والترجمة العربية حـ ١ ط ١٩٥٦.

22. George Goyon : Le papyrus de Turin Annueles du Serveces, XL. LX.

23. GEORGE MASPERO : ETUDE de methodology . IV.

24. George Poscener Serge Saunerum, Jean Yeyotte: A Dictionary of Egyptian CiVilization.

25. GEORGE POSCENER : LA PREMIERE DOMINATION PERSE EGYPTE , BIBL, XI, LE CAIRE 1936.

26. H. Frankfort: The Birth Of Civilization , 1951.

27. H. Gauthier : Le Liver des Rois d' Egypte II.

28. Hayes, w, c. : The Scepter Of Egypt . Vol. New York , 1953.

29. John Wilson : The Burden of Egypt. Vol. New York 1953.

الترجمة العربية : د. أحمد فخرى ط ٢ ١٩٥٦ بعنوان الحضارة المصرية.

30. John Wilson : The Culture of Ancient Egypt, chicage 1963.

31. Gohn Ball : Egypt In The Classical Geographers Cairo 1942.

32. J. Vandier : la famine dans l'egypt ancienne le Cairo 1936.

33. J. Vandiar : La Religion egyptienne, paris 1949

34. John Milton : Sunrise Of Power:

ترجم إلى العربية ضمن كتاب : مصر والنيل فى أربعة كتب عالميـــة – ترجمـــة مختـــارة السويفى – الدار المصرية اللبنانية ط ١ ١٩٨٦.

35. L.a. White : Akhinaton : the great man and the culture proccess in joas. L.x viii 1948

36. Maret : La Passion D'osiris Dans Rois Et Dieux D' Egypte, Paris 1916

37. M. A. Hoffman : Egypt before the Pharahos, 1979.

38. Morenz : La Religion Egyptienne, Paris , 1962

39. Parker, R. The calendars of Ancient Egypt, Chicago 1950.

40. Pascal Venus Jean Yoyotte : Les Pharahos. (82).

الترجمة العربية : موسوعة الفراعنة ، ترجمة د. محمـــــود مـــاهر مـــهران – دار الفكـــر للدراسات والنشر ط ١ القاهرة ١٩٩١.

41. Pritchard : Ancient Near Eastren Texs, 1950.

42. Pratt .L.A : ancient Egypt : sources of in formation. New York public library Vol. 2, 1942.

43. Sand Man : Texts From The Time Of Akhenaton 1938.

44. Smith .W.S.The Old Kingdom In Egypt Vol. London 1962,1965.

45. W. Budge : The Egyptian Book Of The Dead : Osiers And The Egyptian Resupection 2 Vol. 1911.

46. W. Budge : Frome Fatish To God in ancient Egypt Oxford, 1934

47. Wainwright, G.A : The Sky Roligion In Egypt . Cambridge, 1938.

48. William Macquitty : Ramses The Greet Master Of The World.

ترجم إلى العربيـــة ضمـــن كتـــاب : مصـــر والنيـــل فـــى أربعـــة كتـــب عالميـــة – ترجمة مختار السويفى – الدار المصرية اللبنانية ط١ ١٩٨٦.

محتويات الكتاب

رقم الإيـــداع : ١٧٢٩٢ / ٩٨
الترقيم الدولي : I.S.B.N
977- 19 - 7763 - 6